

وَجِيْهُ ابُو ذَكْرِي

شباب في دائرة الموت

المدمنون بعثرفون



شباب في دائرة الموت المدمنون يعترفون

وجيه أبو ذكري

حقوق الطبع والتأليف محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لماذا ؟

لماذا كتاب كامل عن تراجيديا المخدرات ؟

لماذا ؟

لماذا مشقة لقاء البحث عن المدمنين فى المستشفيات وأقسام الشرطة والسجون

وغرف الإعدام ؟

لماذا ؟

لماذا مشاركة رجال الشرطة فى حملاتهم ضد تجار المخدرات ، فى الحوارى الضيقة

وتوقع تبادل اطلاق الرصاص ؟

لماذا ؟

لماذا المخاطرة فى الذهاب حيث أوكار المخدرات والمدمنين الخطرة والقذرة ؟

لماذا ؟

لماذا التواجد فى مواقع الجرائم الجديدة البشعة على مجتمعنا المؤمن المسالم ، تلك

الجرائم التى قلبت موازين قوانين الطبيعة ، بل والقوانين السماوية ذاتها وناموس الحياة ؟

لماذا ؟ .. والمكتبة العربية عامرة بعشرات الكتب عن المخدرات ، وكلها تتحدث –

علمياً – عن خطورة المخدرات .

الم يكن يكفى بحث علمى — من خلال عشرات الكتب — عن خطورة المخدرات ، بدلا من المجازفة والبحث فى مواقع الايمان .

والجواب باختصار شديد : ان حجم مشكلة الايمان لا يتصورها أحد ، إن حجمها فاق كل تخيل ، إن خطة صهيونية محكمة وذكية تستهدف مصر ، بل ومعها الأمة العربية ، وتلتهم هذه الخطة أعز ما تملك مصر ، واعز ما تملكه مصر هو شبابها . إن أعداء مصر وأعداء الأمة العربية يجدون فى استنباط أنواع جديدة من المخدرات ، قذائف عالية المفعول ، دقيقة فى إصابة الهدف ، فأطلقوها لإصابة قلب الأمة ، إن حرب المخدرات التى يجب أن نخوضها بكل الأسلحة هى أبشع بمراحل من حرب الجراثيم ، فحرب الجراثيم — رغم تحريمها وبشاعتها — محددة بزمان معين هو زمن الحرب ، ومكان معين هو ساحة القتال ، ولكن فى حرب المخدرات فإن الزمان هنا لا ينتهى ، والمكان هنا أمة بأكملها ، والهدف هو قلب هذه الأمة . فتصوروا أمة كاملة يغرق شبابها فى بحور الإدمان .

لقد دفعت ثمننا غالياً فى سبيل إعداد هذا الكتاب ، حتى كدت أدفع حياتى ثمننا لإعداده .

كنت ألتقى — مثلاً — بالضحية ، أو مريض الإدمان ، وأراه — دون الإيمان — أملاً لمصر ، وفخراً لها ، وبعد الايمان قد دمر حياته ، ودمر أسرته ، ودخل دائرة الموت المحقق .

كنت التقى - مثلاً - بشاب أدمن فارتكب جريمة قتل بشعة لا أخلاقية ، وهو يجلس فى غرفة انتظار تنفيذ حكم الإعدام ، فإذا به شاب كان نافعاً لمجتمعه قبل الإدمان ، ولكنه بعد الإدمان أصبح معولاً يهدم كل جميل فى هذا المجتمع .

كنت التقى - مثلاً - بطبيب شاب ، سقط فى كمين الإدمان ، يبحث عن طوق نجاة للخروج من يم المخدرات فلا يقوى على الإمساك بطوق النجاة . وإذا به يفرق ويموت .



شباب فى عمر الزهور يفرقون سراً .

شباب لم يبحث عن المواد المخدرة ، بل هى التى تطرق بابه وبشدة وتلح عليه إلحاحاً .

ليس سراً أن المخدرات أصبحت متوافرة فى كل مواقع الشباب ، فى الجامعات ، فى المدارس ، فى الأندية ، حتى فى الساحات الشعبية .

وليس سراً أن المخدرات قد طالت لأول مرة المرأة ، فأصبحنا نسمع عن المرأة المدمنة ، والمرأة هى أم رجال المستقبل ، فتخلوا أمهات المستقبل مدمنات !!!

تحت شعار جرب مرة واحدة ، سقط فى كمين الإدمان الشباب والفتيات ، فهذه التجربة هى الخطوة الأولى فى طريق الإدمان ، فهى أشبه بتجربة الانتحار ، فبعد تجربة المخدرات الأولى ، يصعب بعدها الفرار من المخدرات .



لماذا كتاب تراجيدى عن المدمنين ؟

لأن الإيمان ، يدفع بالشاب الطاهر ، إلى حالة من الجنون لا يستطيع أن يفرق بين أمه وبين بغى ، بين أبيه وبين عدو لدود ، بين أخيه وبين حيوان يريد أن يفترسه ، لهذا سمعنا عن كل الجرائم البشعة التى تملأ أعمدة الصحف هذه الأيام ، ثم ندهش ، دون وقفة لمعرفة الأسباب التى تؤدى بمعلم اغتصب تلميذته الصبية ، ولا لمعرفة دوافع شاب يقتل أمه .

لقد دفع الإيمان بالمدمنين إلى كل أبار الرذيلة السحيقة ، وانتزع منهم الضمير والتقاليد والمبادئ والقيم ، وحولهم إلى وحوش كاسرة لا رادع لهم ولا دين .

لقد بحثت عن رقم يصور العلاقة بين الإجرام والإيمان ، فوجدت أن سبعين فى المائة من جرائم السرقة والقتل والاغتصاب بسبب الإيمان .

إذن .. الإيمان وراء خطة ماکرة لتحويل المجتمع إلى غابة ، يسود فيها تجار المخدرات .



لماذا كتاب تراجيدى عن المدمنين ؟

إن مصر مستهدفة فى اقتصادها .. لكى تتوقف كل أنواع التنمية .. فكانت خطة القضاء على الإقتصاد المصرى بعدة وسائل :

الأولى : الإرهاب .

وهو يعطل قوى كثيرة لمواجهته ، ويحتاج إلى أموال طائلة لحسمه ، وهو فى النهاية

استنزاف لقوى الشعب واقتصاده ودفعه إلى ترك قضايا هامة كقضية التنمية .

القروض : وهى نوع خطير من الاستعمار الجديد ، وإضعاف الإقتصاد القومى ، حيث تتعاظم القروض ، حتى تصل أقساطها إلى حد يفوق القروض الجديدة ، ومعنى ذلك أن الإنتاج كله ، أو نسبة كبيرة منه تذهب تسديداً لأقساط الديون ، حتى يأتى اليوم ، الذى نجد فيه المجتمع كله يعمل لحساب تسديد الديون فقط .

توظيف الأموال : وهو خطة جهنمية لوقف مشاركة مدخرات المصريين فى الداخل والخارج فى تنمية بلدهم .

ثم ..

الامان : وهو فى تصورى أخطر من كل القضايا السابقة .. لماذا ؟

لأن توظيف الأموال يمكن وقفه بقانون مهما كانت الآثار السلبية المؤقتة على الإقتصاد .

ولأن القروض .. يمكن للحكومة أن تعد خطة تتوقف عن قبول القروض .. أو قبولها بشروط ميسرة جداً .. بحيث لا تستنزف الإقتصاد .

والإرهاب .. لأنه يشكل خطورة على الأمن السياسى ، ولأنه واضح وضوح الشمس .. فإن التوعية وأجهزة الشرطة يمكن أن تحسم مع الإرهاب المعركة .

ولكن ..

الإمان يشبه الأخطبوط .. فإنه يحطم المجتمع بالكامل ، والدليل على أن الأفيون

حطم ذات مرة شعباً كاملاً .. هو الشعب الصينى .. وكان الاستعمار البريطانى هو الذى يقف وراء دفع الشعب الصينى كله إلى إدمان الأفيون . ولولا ماو .. ما أفاق الشعب من الإدمان .. ولولا إيمانه لما تمكنت بريطانيا من السيطرة عليه .. ولما تمكنت من استنزاف كل خيراتة .

تجربة بريطانيا فى الصين .. تحدث الآن .. لا فى مصر وحدها بل فى كل أنحاء الأمة العربية ، فالمحاولة هى استنزاف كل موارد هذه الأمة .
تعالوا نقرأ الأرقام ..

الديون العالمية المدينة بها مصر تقدر بنحو أربعين ملياراً من الدولارات .
هذه الديون .. تستنزف الكثير من إنتاج مصر ودخلها لدفعه أقساطاً سنوية لهذه الديون .

والمبالغ التى تنفق على المخدرات سنوياً حوالى عشرين مليار دولار ، حسب تقدير الباحثة الدكتور أى أننا ننفق فى العام الواحد نصف كل الديون التى اقترضناها على مدى سنوات طويلة ماضية ، أى أننا لو استطعنا القضاء على تجارة المخدرات ، فإننا حفظنا لمصر عشرين مليار دولار سنوياً .

لماذا كتاب عن المدمنين والمخدرات ؟

فى السنوات العشر الماضية ، نتحدث كثيراً عن الفساد ، وأحياناً يرى اليساريون أن

سبب انتشار الفساد هو تجربة الانفتاح الاقتصادى التى بدأها السادات، وعلقوا «قضية الفساد» على مشجب الانفتاح الاقتصادى واستراحوا . فى الوقت الذى تؤكد فيه الأرقام الرسمية أن سياسة الانفتاح هذه أتاحت فرص عمل سنوية لحوالى خمسة وستين فى المائة من الخريجين .

إذن .. ما هى أسباب الفساد ؟

لا مبالغة فى قولى هذا .. إن السبب الرئيسى للفساد فى أية دولة هو « مافيا المخدرات » .. فلكى تصل المخدرات إلى « المستهلك » لابد أن تجد مسئولاً فاسداً ، وحارساً فاسداً ، وقاضياً فاسداً ، ولولا هذا الفساد ، لما وصلت المخدرات إلى المستهلك . إذن لابد لمافيا المخدرات أن تخلق هذه العناصر الفاسدة ، حتى يمكن لهم ترويج بضاعتهم السامة .

تعالوا نتحدث بصراحة .. فالأمر خطير .

تعالوا نتحدث بصراحة .. ونسمى الأسماء بمسمياتها .

مافيا التعويضات فى وطنى ، تتجه إلى أن تتحول إلى حكومة قوية داخل البلاد ، فهى تشكل فى انشغال الحكومة بقضايا هامة ، دون اعتبار أن قضية المخدرات هى – الآن وليس غداً – أهم قضية .

وتعالوا .. نقترّب من حكومة مافيا المخدرات ..

إذا كانت حكومة مصر تتعامل فى ستين ملياراً من الجنيهات ، فإن حكومة مافيا

المخدرات تتعامل فى عشرين ملياراً من الدولارات ، أى أن الأرقام تتقارب !!
فمليارات مافيا المخدرات .. ماذا يمكن أن تفعله فى المجتمع ؟

فى أمريكا اللاتينية ، فى بلاد إنتاج المخدرات ، فإن تجار المخدرات هم الذين يشكلون الحكومة ، بما لديهم من نفوذ وقوة ، لذلك ، هناك استحالة فى القضاء على إنتاج المخدرات ، وأصبحت قوتهم أشبه بالأساطير ، فإن من يقف فى وجههم ، سواء من الصحفيين ، أو رجال الشرطة ، أو القضاة ، أو الجمارك ، فما أسهل أن تجد جثته ملقاة فى الشارع .. والفاعل مجهول .

وفى مصر .. هناك محاولات للوصول بمافيا المخدرات إلى حكومة قوية .

قلت : تعالوا نتحدث بصراحة فالأمر خطير .

يتحدثون فى مصر عن ضابط المباحث الكبير ، الذى ضبط مخدرات قيمتها خمسة ملايين جنيه ، وفى المحضر أثبت أن قيمة المخدرات المضبوطة تقدر بمليون جنيه فقط ، وقد أدبى هذا الضابط ، وخرج من الخدمة ، ومات بعد خروجه بقليل .

فى بولاق ، حيث توجد مؤسسات إعلاميتان عملاقتان هما أخبار اليوم والأهرام ، توجد أوكار تجارة المخدرات ، وعندما فشلت الشرطة فى القضاء على هذه الأوكار ، قام الأهالى بتجربة فريدة .. أن يقاوموا بأنفسهم تجار المخدرات .. وقاموا بتمرد على هؤلاء التجار

أطلقوا على هذا التمرد « ثورة الحجارة » .. حيث قاموا بإلقاء الحجارة على التجار .. وعلى كل مدمن يدخل حارة « الجيارة » التى بدأت فيها التجربة .. ولكن :
جاءت إلى مكتبى واحدة من زعيمات هذا التمرد .. تبدى لى تخوفها من فشل التجربة ..
لأن « صبيان » تجار المخدرات يذهبون إلى قسم الشرطة .. حيث يجدون المساندة .
كيف ؟

تتحدث عن حفل زفاف تكلف أكثر من خمسين ألف جنيه لأحد ضباط الشرطة .. فى أحد الفنادق .. على نفقة تاجر مخدرات .. وأموال أخرى ترك على أثرها الضابط عمله فى الشرطة !!

يتحدثون فى مصر .. عن وكيل النائب العام الذى حاول تهريب اثنين – غير مصريين – تم ضبطهما وفى حوزتهما مخدرات ، وحاول الرجل المسئول تهريبهما من مطار القاهرة الدولى نظير مبلغ كبير .. وقد تم ضبطه بشكل درامى مفرع .
يتحدثون عن عضو مجلس الشعب الذى يتاجر فى المخدرات ، ولم تتمكن أجهزة مكافحة المخدرات من رفع الحصانة عنه ، وكان من المهم أن يضبط متلبساً ، حتى يتم وقاية المجتمع من سمومه ، وقد تم ضبطه متلبساً .

يتحدثون فى إدارة مكافحة المخدرات عن اثنين فى مؤسسة تشريعية ، تحوم حولهما شبهة تجارة المخدرات وخاصة تجارة الهيروين .

يتحدث المستشار عادل صدقى ، رئيس محكمة الجنايات السابق إلى جريدة « الأخبار » ويقول كلاماً خطيراً عن المخدرات فى مصر .. إنه أصدر حكماً بالإعدام على ثمانية عشر من تجار المخدرات ، وقد أدى ذلك إلى تراجع تجار المخدرات ، إلا أنه لا يعلم حتى الآن لماذا لم يتم تنفيذ هذه الأحكام !!

إن .. مافيا المخدرات تتسلل إلى مواقع خطيرة .
إلى الشرطة التى تكافح هذه السموم .
إلى القضاء الذى يستطيع أن يقضى على هذه المؤسسات القاتلة للشعب .
إلى مجلس الشعب حيث الحصانة والتشريع .
ربما لم تجد هذه العصابات موقع قدم فى هذه المواقع الخطيرة ، وربما وجدت –
ولا أحد يدرى مدى إنجازهم الشيطانى فى هذا الطريق .

يتحدثون عن المعلم الكبير « رئيس المافيا » ، ويحددون بعض ملامحه ، وهو رجل خطير ، له علاقات قوية بكبار المسؤولين ، وكان فى قمة السلطة ، ولم يعد الآن كذلك .
ولكن بملياراته يملك سلطة نافذة ، ويحاول أن يفسد قمة المجتمع ، حتى يتمكن من خلال فساد القمة أن يدخل كل أنواع السموم فى مصر .

والآن .. ما هو الحل ؟

لقد قدمت نماذج فى هذا الكتاب عن هؤلاء الشباب الذين دخلوا دائرة الموت عن طريق المخدرات ، وذلك محاولة منى لوضع القضية أمام أصحاب القرار بحجمها الخطير ، لكى تتحرك كل الأجهزة فى حرب شاملة ضد تجارة المخدرات والتي تستهدف دفع مصر ، بل والأمة العربية كلها فى دائرة الموت .

والحل .. هو إعدام كل من له صلة بهذه التجارة الكافرة الفاسدة المفسدة .

الإعدام .. لزراع المخدرات .

الإعدام .. لمنتج المخدرات .

الإعدام .. للمتستر على تجارة المخدرات .

الإعدام .. لتاجر المخدرات .

الإعدام .. لمهرب المخدرات .

الإعدام .. لمتعاطى المخدرات بعد فترة سماح لعلاجيه .. وإذا رفض العلاج ، فلا بد من إعدامه .

لماذا الإعدام ؟

لأن فى الإعدام رحمة بالمجتمع .

قال لى الدكتور مصطفى المنيلوى .. إن مريض السرطان لكى يشفى من هذا المرض .. ولكيلا يموت .. لا بد من بتر موقع السرطان فى الجسم .. لحماية بقية أعضاء جسد المريض .. ولكى يعيش .. البعض قد يرى فى البتر قسوة .. ولكن فى البتر رحمة .. حتى لا تترك الخلايا السرطانية تنتشر فى الجسد كله فتفنيه .

فى الحرب العالمية الثانية .. طلب ستالين تجنيد كل الشباب الذين يعملون جباة فى القطارات والآتوبيسات .. والمترو .. وطلب وضع صندوق على باب كل مركبة يضع المواطن السوفيتى أجرة ركوبه فى هذا الصندوق ، فقال المستشارون .. لن يدفع مواطن سوفيتى واحد الأجر .

فقال ستالين: من يضبط .. يعدم .

قالوا : قسوة من ستالين .. كيف يعدم مواطن لأنه ركب مركبة عامة بالمجان .

وبدأت التجربة .. وتم ضبط ثلاثة ركبوا المركبة دون وضع الأجرة فى الصندوق .. وتم إعدامهم . ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم أصبح المواطن السوفيتى يحرص أشد الحرص على دفع أجرة ركوبه فى الصندوق الذى تطور فيما بعد .

وكسب ستالين ملايين الشباب للقوات المسلحة .

وكسب ستالين الحرب من هتلر .

وأحد الأسباب هو ذلك القرار الذى يبدو فى أول الأمر قاسياً .. ولكنه فى النهاية هو

رحمة بكل المجتمع .
فيأيها المشرعون .
ويا رجال القانون ..
إعدموا هؤلاء الذين يريدون دفع المجتمع كله إلى دائرة الموت .

وجيه أبو نكري

يناير ١٩٨٩

(١)

لا أدري من أين أبدأ ..

ولكن .. تلح على دائماً أن أبدأ من حيث كانت بداية الطريق إلى النهاية .. فهذا اليوم لا أستطيع أن أنساه .. هو كالأمس فقط ، رغم مرور عدة سنوات عليه .. قد تصل إلى ثمانى سنوات .. فى هذا اليوم ، لم أكن أعلم ما هو الهيروين ؟ .. وما هى خطورته ؟ .. وإلى أين يأخذ الإنسان ؟ .. لا أعرف شيئاً عن ذلك المسحوق اللعين ..

لقد كنت فى مدينة اسطنبول .. وفى أحد فنادقها الفاخرة جاءتنى فتاة تركية .. وقدمت لى هذا المسحوق .. وطلبت منى أن أستنشقه - كالنشوق - وقالت لى :

- سوف يجعلك كالفراشة ..

لم أكن أعلم خطورة ما أفعل .. أخذت المسحوق .. وفعلت كما طلبت منى .. ولا أدري هل أصبحت كالفراشة أو الحمار ! .. ثم أعطتنى كيساً به هذا المسحوق لأستعمله وقتما أحتاجه .

ومن هنا .. بدأت الكارثة .. ومنذ تلك اللحظة وأنا أسير فى درب الفشل .. فالموت .. فلقد تمكن منى هذا المسحوق .. ولم أعد قادراً على مقاومته .

أنا .. شاب من أسرة مصرية فقيرة .. والدى مزارع بسيط فى محافظة المنوفية .. ولى سبعة أخوة .. وحبانا الله بوالد لا يعرف للعطاء حدوداً .. وأم .. لا تعرف للحنان نهاية .. ونحن أخوة نعيش تحت مظلة من الأمان والحب والعطاء .. لا مشاكل إلا مع الفقر .. وعقدنا معه معاهدة تعايش .. هو لا يقسو علينا .. و يجرنا إلى كوارث قد تحتاج إلى مئات لا

نملكها .. ونحن لا نطلب منه أن يرحل عنها .

وكانت ثمار مظلة الحنان ضابط شرطة .. هو شقيقى الأكبر .. وأنا .. أعمل مضيفا بإحدى شركات الطيران العربية .. وطبيباً هو أختى الأصغر .. وأربع زوجات عظيمات هن بقية إخوتى .

أختى ضابط الشرطة يؤدى الصلاة ، يحفظ القرآن ، اعتبره قدوة لى ، أحبه وأخافه وأحترمه .

وعندما تزوج شقيقى القدوة ، أحببت شقيقة زوجة أختى وتزوجتها .

وكانت الزوجة من بيت طيب .. والدها رجل من أعلام الفقهاء فى الدين الإسلامى .. لذلك كنت سعيدا بزواجى الفاضلة المؤمنة .

وقام والدها بتأثيث بيت الزوجية .. تأثيثاً فاخراً .. وكانت هوايتى أن أشتري ، بكل ما معى من مال ، التحف من كل عواصم العالم ، لهذه الزوجة المؤمنة الفاضلة .

وأصبح لدينا بيت جميل كالقصر .

وزادت سعادتنا مع قدوم طفلى الأول ..

ثم .. ازدحم البيت بمقدم ابنتى .. ولا أدرى .. لقد أحببت هذه الطفلة حبا كبيرا .

كل هذا كان قبل لقاء اسطنبول الذى تحدثت عنه ..

وعشنا سنوات فى سعادة منقطعة النظير .

بل أضيف .. لم يكن سرا أننى استطعت ادخار عدة آلاف من الجنيهات ، أودعتها فى البنك وديعة ، ورصدتها لزواج طفلتى عندما تصبح شابة .. ويتقدم إليها الشبان .. وأختار منهم من هو أصلح لها .

كانت أحلاماً رائعة .. عشت فيها أنا وزوجتى .. وزادتنا هذه الأحلام حبا وسعادة .. واستقراراً .

ثم كانت ليلة اسطنبول التى لا تنسى .

بعد أن أخذت الجرعة من السم الأبيض .. لم أشعر .. ما إذا كنت فراشة أو حماراً ..

ولكنى استيقظت من النوم .. وإحساس رهيب بالكسل .. وإرهاق شديد .. وبودى أن أنام حتى الموت .. ولكنى كنت مرتبطا بموعد إقلاع الطائرة .. ولا أدري .. لماذا مددت يدي إلى هذا المسحوق الملعون .. وتناولت منه جرعة .

أشعر الآن بالندم حتى نخاع عظامي .

لماذا لم ألق به من نافذة الفندق ؟ !

أه ! .. لو فعلت ذلك .. لما حدث كل ما حدث لى ..

ولكن .. شيطان ملعون ، جعلنى أضع هذا المسحوق فى حقيبتى وأطير به .

فى اليوم الثانى ، وعندما استيقظت من النوم ، شعرت بحاجة شديدة إلى جرعة منه ، فأخذت واحدة .

وهكذا كنت أتعاطى جرعة يومية .. حتى انتهت الكمية التى كانت بحوزتى .

أثناء ذلك .. ومن خلال ما أسمع .. علمت أن هذا المسحوق الملعون إما كوكايين أو هيروين .

ثم جاء يوم واحد لم أتعاط فيه ..

أحسست بألم شديد فى كل مفاصلى .. وشعرت بضيق أشد من الألم .. ورغبة فى الانتحار .

أسرعت إلى إدارة الشركة .. وتمالكت نفسى .. وتمكنت من وضع اسمى فى هيئة الطائرة المتجهة إلى اسطنبول .

لم أجد الفتاة فى اسطنبول .. ولكنى لم أجد صعوبة فى الحصول على هذا المسحوق .

تناولت هذه المرة جرعة كبيرة .. فلقد كنت أشعر أن جسدى فى حاجة إليه .

وفى طريق العودة ، والطائرة فوق السحب ، وأحد الركاب ينادينى ، لا أسمعه ، أو أسمعه ولا أشعر باهتمام أو اكتراث لما يقول ، وتصادف مرور قائد الطائرة ، ونظر إلى مَليَا ، وقال :

— أنت مدمن ؟ .

فرردت عليه :

— ما معنى مدمن ؟ وأى إدمان تتحدث عنه ؟ .

قال :

— هل تتناول مخدرات ؟ .

فنفيت ذلك بشدة .. وأخبرت القائد بأننى مريض بعض الشيء فلم أنم ليلة أمس من الالم مبرحة فى معدتى ، واستدعيت طبيب الفندق ، فأعطانى عدة أدوية حتى أتمكن من الوصول إلى الطائرة .

فصدقنى قائد الطائرة ، وطلب منى الجلوس فى مقعدى ، وما إن جلست حتى رحت فى نوم عميق .

استيقظت على وصول الطائرة أرض المطار .

وتماكنت نفسى ، ونزلت من الطائرة ، ولكن كلمة القائد ما زالت ترن فى أذنى :
« أنت مدمن ؟ » .. لأول مرة أدركت أننى دخلت دائرة الإدمان الخطرة .

عدت إلى البيت .. بعد أن حصلت على إجازة لمدة خمسة أيام من عملى .

وقضيت اليوم الأول نائما .

واستيقظت .. كانت ابنتى بجوارى .. وشعرت لحظتها بأننى أسرق منها السعادة ، وأننى لم أعد فخرالها .. قتلتنى هذه الأحاسيس .. فقممت غاضبا .. وألقيت بالسم من النافذة .

وقررت التوقف تماما عن تناول هذا السم ، وشعرت بالسعادة واحتضنت ابنتى الصغيرة ، وابتسمت فى وجه زوجتى الفاضلة ، وداعبت ابنتى ، وقررت الذهاب إلى الشركة .
ولكن .. لحظات وانتابنى الألم ..

وخرجت كالمجنون أبحث عن المسحوق الذى ألقىته فى الشارع فلم أجده .. وعدت إلى المنزل ، وارتديت ملابسى ، وذهبت إلى حارة ملاصقة لمبنى التلفزيون كنت قد سمعت عنها .. وأن فى هذه الحارة كل أنواع السموم .. ولكنه ليس بنقاء ما أشتريه من اسطنبول .

والتقيت .. برجل .. سألنى دون أن أسأله :

— ماذا تريد ؟

— هيروين ..

ونظر إلى طويلاً .. نظر إلى وجهى .. ثم إلى عيني ..

— ياه ! .. أنت مدمن تماما .

وبقيت صامتا .. وأخذ كل ما معى من مال واختفى ، ثم عاد بالسهم الجديد .

عدت إلى البيت .. وتناولت هذا السم .. فاخترى الألم .

أمر حدث فى البيت لأول مرة أرهقنى .. نظرات الشك التى بدأت تلقىها زوجتى ..

قالت :

— لا يوجد مصروف فى البيت ..

لم يكن معى مال إلا تلك الوديعة التى وضعتها لابنتى فى البنك ، وأسرعت إلى البنك ، وحولتها إلى حساب جار ، وجئت للبيت بمصروفه .. ومكننى ذلك أيضا من الحصول على جرعاتى .

ذات يوم .. كنت عائداً من رحلة .. وسألتنى زوجتى :

— أين عادتك .. أين الهدايا ؟ .

وكان سؤالها له أكثر من معنى ..

وأثناء ذلك دق جرس الباب .. وإذا بشقيقى ضابط الشرطة يدخل مندفعاً ..

— هل أعطيت سيارتك لأحد ؟

— لا ..

— تذكر جيداً ..

— لماذا ؟

— إن المباحث قد التقطت رقم سيارتك أثناء مراقبتها لوكر من أوكار المخدرات

وجاء فى التقرير أن قائد السيارة قد اشترى هيروين ..

ومثلت الدهشة .. والنسيان .. وذكرت أنني فعلا قد أعطيتها لصديق .. ولكنني أشك أن يكون مدمنا.

نظرت إلى زوجتي نفس النظرة ، ثم قالت :

— فى رأى أنك تنصح صديقك بأن يدخل إحدى المصحات للعلاج فيها .

فى طريقى إلى الطائرة .. تقدم إلى القائد .. وطلب منى عدم ركوب الطائرة .. ودهشت لذلك .. فأخبرنى أنه لا يشك فى كونى مدمنا .. وأن فى هذا خطراً على حياة الركاب ، حاولت أن أثور ، ولكنه قال لى إن الثورة ليست فى صالحك .. كل ما طلبه كابتن الطائرة أن أتجنب الرحلات معه وهو لن يخبر أحداً بذلك .

أثناء عودتى من الطائرة إلى داخل مبنى المطار .. سألتى الكثير عن عدم الاشتراك فى الرحلة .. تعللت بأننى مريض .

بعد هذه الحادثة مباشرة .. تزامن اعتذارى عن رحلات كثيرة .. مع رفض قادة الطائرات دخولى الطائرة .

وفى أحد الأيام ، طلبنى رئيس الشركة . وطلب منى أن أقدم استقالتى من العمل ، حاولت فى البداية معارضة هذا الطلب ، إلا إننى وجدت نفسى أمام اختيار صعب .. التحقيق معى بتهمة ركوب الطائرة وأنا فى حالة سيئة بسبب الإدمان .

وقدمت استقالتى وخرجت ..

شعور غريب حدث لى .. لقد انهيار منزلى ، أو هو على وشك الانهيار بسبب هذه الاستقالة .. وفضيحتى بين العاملين والأسرة .. ولكن كان شعورى باللامبالاة ..

أخذت سيارتى ، واتجهت الى « تاجرى المفضل » ، واشترت منه كمية من الهيروين ، وذهبت إلى البيت قابلتني محبوبتى الصغيرة ، ترفع يديها لأحتضنها .. ولكن مارلت فى حالة « اللامبالاة » .. فتركته ودخلت غرفتى ، وبكت ابنتى ، ابنة الخامسة من عمرها .

أغلقت الغرفة بالمفتاح .. وتناولت السم الأبيض .. ثم طرقت زوجتى باب الغرفة .. وفتحت لها الباب ..

— لماذا عدت مبكرا ؟ .

– لا أريد الآن أى أسئلة ..

هل تسمع نصيحتى ؟ اذهب إلى طبيب ليعالجك .. واعلم أنى سأقف بجوارك حتى يتم الشفاء ..

– يعالجنى من ماذا ؟ .

– من الإدمان ..

وثرث من هذا الاتهام ، وتحولت إلى وحش فى البيت ، يكسر كل شئ .. وولدى وابنتى بيكيان .. والزوجة تنظر إلىَّ بالَم شديد .

وخرجت ، ركبت سيارتى وذهبت إلى أحد المقاهى .. أنظر الى المارة .. ولا أراهم ..
يأتى النادل بكوب الشاي وراء الآخر .. وأحتسيه وأنا فى حالة ذهول أو غيبوبة .. ولكنى لم أكن فى حالة ندم على الإطلاق ..

سرت ساعات .. لا أدرى ما إذا كانت كثيرة أو قليلة .. وعدت إلى البيت .. لا رغبة لى فى العودة .. ولكن لأن السم هناك .. وشعرت باحتياجى إليه .. .

عندما فتحت باب البيت ، وجدت مفاجأة .. زوجتى وشقيقى ضابط الشرطة ، وشقيقى الأصغر الذى يعمل طبيباً ، الكل فى وجوم .

اجتماع للمحاكمة . زوجتى استدعت « مجلس العائلة » ..

حاولت الترحيب بالشقيقين ، وجلست معهم ..

ساد – فى البداية – صمت رهيب ، مزق هذا الصمت ضابط الشرطة ..

– زوجتك تريد الطلاق ..

ونظرت إليها فأطرقت برأسها إلى الأرض .

وتحدث الطبيب .. طلب منى أن أذهب معه إلى المستشفى الذى يعمل به .. وسألنى رعاية كاملة .. وسيتم العلاج بالمجان .. وستأتى زوجتك للإقامة معك .. وسيذهب الولدان إلى منزل شقيقنا الأكبر .. وتعود إلى بيتك وعملك مُعافى ..

ورفضت الاقتراح .. ورفضت « اتهامهم » لى بأئى مدمن .

وتحدثت زوجتى وهى تبكى .. تعرض تفانيها حتى أشفى ..

واتهمت الجميع بالجنون

وطلبت من الشقيقين الخروج من البيت ..

وقالت لهما زوجتى وهما يخرجان غاضبين :

- إنه لا يدري ما يفعل .. إنه فى حاجة إليكما .

ولكنى طردتهما .

لم يعد لى دخل أنفق منه على بيتى .. وكنت أسرق محتويات البيت وأبيعها ، وأشتري منها هذا المسحوق السام .. حيث احتاج جسمى - مع الأيام - إلى جرعات أكبر .. كم من مرة حاولت زوجتى منعى من بيع أثاث البيت فلم تتمكن .. وقبل أثاث البيت ، بيعت السيارة ، وقبل السيارة ، أنفقت الوديعة ! .

وأخذت زوجتى الولدين ، وخرجت ، ولا أعرف إلى أين ذهبت ، ولم أهتم بخروجها . كما لم أهتم بالولدين .

وبقيت وحدى فى البيت المهجور .

ولم يعد - بعد خروج زوجتى - ما يمكن بيعه ..

كنت فى حاجة ماسة إلى المال ، لأشتري هذا السم الذى تمكن من بقايا جسدى ، لم يكن أمامى سوى التسول ، أو التجارة فى المخدرات وفضلت التسول .

وفى اليوم الأول من بداية التسول ، وأمام واحد من محلات بيع المرطبات ، اتجهت إلى سيارة بداخلها رجل وامرأة .. ومددت يدى .. وكنت فعلا فى شكل يرثى له .. ونظر إلى الرجل طويلا .. ثم طلب منى الانصراف .. تذكرت الرجل والفتاة .. إنه زميل لى فى شركة الطيران ، وهذه زوجته .

وتصورت أنه تعرف على شخصيتى .. وعدت إلى البيت المهجور ، وجلست وحدى ، وبكى لأول مرة منذ أن عرفت الهيروين ، وقررت التوقف .. ولكن كيف ؟ .

كانت هذه المرة الأولى التى أقرر فيها التوقف منذ الليلة فى اسطنبول .. حتى لحظة القرار فى البيت المهجور .

ونزلت إلى بواب العمارة ، وطلبت منه عشرة جنيهات .. كانت هذه هى المرة الأولى التى أستدين فيها من البواب ، وكم أعطيته من قبل ، وأعطانى الرجل ما طلبته ، وذهبت إلى محطة الجيزة أسأل عن السيارات المتجهة إلى الوادى الجديد ، وأخذت مقعدى فى السيارة ، وانطلقت إلى المجهول الجديد .

الوادى الجديد منطقة منعزلة عن مصر . أسمع أنها خالية تماماً مع المخدرات ..
اخترتها انطلاقاً من قول طارق بن زياد : « العدو أمامكم والبحر من خلفكم » .. أى لا مفر
من الانتصار .

نزلت من السائرة جائعاً ، متعطشاً بشدة إلى السم الأبيض أين أذهب ؟ .. لا أصدقاء
ولا مال .

ذهبت إلى المسجد .. نظر إلى المصلون بعناية .. فانا غريب فى ديارهم . تقدم إلى
شاب .. وسألنى عن اسمى ، وسبب حضورى إلى هنا .
قلت له :

– تعبت من زحام القاهرة .. جئت للعمل هنا .

– وماذا كنت تفعل فى القاهرة ؟ .

– لا شئ يذكر .. ولكن قبل القاهرة كنت أعمل بالزراعة .

قلت هذا ، لأننى أعلم أن الوادى الجديد فى حاجة إلى مزارعين ، وأنا فعلاً . كان لى
دراية قديمة بالزراعة ، قبل أن يتوفى والدى وقبل أن أنتقل إلى القاهرة للدراسة والعمل .
حيث كنت أساعد والدى فعلاً فى الزراعة .

فى بيت الله بالوادى الجديد .. كان لقائى بهذا الشاب ..

وفى بيت الله بالوادى الجديد .. كان لقائى بأول أمل ..

وفى بيت الله بالوادى الجديد .. بكيت كثيراً .. بكيت ندماً وتوبةً .

عرض على الشاب العمل معه فى مزرعته ، فهو خريج كلية الزراعة جامعة أسيوط ، رفض
الوظيفة الحكومية ، والمدن المزدحمة ، وجاء إلى الوادى الجديد ، وقدم له محافظها
عشرين فداناً .. تمكن من استصلاحها وزراعتها ، وهو فى حاجة لمن يساعده ..

سألنى عن الأجر .. قلت :

– كتاب الله ..

ولم يفهم .. قلت :

– لا أريد منك إلا أن تعطينى كتاب الله أقرأ فيه .. ومكاناً أبيت فيه .. وقليلاً من الغذاء
يكفينى .

ودهش الشاب .. ووافق فوراً على هذا الأجر .

أصبح لى غرفة فى أرض هذا الشاب . ويبدى كتاب الله ، وأمامى أشجار فى حاجة إلى

رعاية وإلا تموت .. وفوق كل هذا .. هل سأتمكن من الاستمرار بدون هذا السم ؟ .

فى اليوم الأول :

أغلقت على الباب .. بعد أن ودعنى الشاب .. وما إن أغلقت الباب ، حتى فتحت أبواب السجن لكل الآلام الحبيسة خجلا .. وانطلقت فى كل جسدى تُعربد فيه .. وأنا حبيس صرخاتى .. وأمزق جسدى بأظفارى .. ولا تمهلنى الآلام لحظات أدعو فيها الله أن ينقذنى .

مرت لحظات قليلة بين الجولة الأولى لانقضاء الآلام على جسدى الضعيف .. وبين الجولة الثانية .. تمكنت خلال هذه اللحظات من فتح كتاب الله أمامى ، والتلاوة من آياته الكريمة .. وكلما اشتد الألم ، ارتفع صوتى وأنا أتلو هذه الآيات .. وكان قلبى يدعو الله أن ينقذنى ، وكانت دموعى التى تنهمر على خدى ، وتتساقط كالرذاذ على صفحات المصحف الشريف . تتوسل إلى جسدى أن يتحمل آلامه .

كنت أشعر أن جسدى ساحة معركة شرسة لا تهدأ أبداً .. وكنت أشعر أن مقاومتى سوف تخسر المعركة أمام الضربات القوية للآلمى .. وكلما جاء لى هذا الإحساس ، ارتفع صوتى وأنا أتلو آيات من الذكر الحكيم

لا أدرى .. كم استغرقت هذه المعركة ؟ .. ساعة .. ساعتين .. ثلاث ساعات .. أم يوماً كاملاً وربما عدة أيام .. ورحت فى نوم عميق .

استيقظت من نومى ، أحسست أننى قادم من رحلة بعيدة ، رحلة مخيفة من باطن الأرض ، شاهدت خلالها وحوشاً غريبة ، كبيرة الحجم ، لها عيون واسعة كبيرة ، ورءوس كثيرة تحملها رقبة واحدة . شاهدت حيوانات صغيرة مفزعة ومفترسة . كل هذا الجيش من تلك الوحوش يطاردنى خلال رحلة نومى .

لم يكن بالغرفة أحد ..

فتحت النافذة ، شاهدت الأرض ، والأشجار الخضراء ، وقفت قليلاً فى النافذة ، حاولت أن أستنشق هواء نقياً لم يتلوث ، ولكن ربتى لم تساعدانى ..

لم أشعر بالجوع ، لكنى أريد أن أشرب نهراً بكامله ، وجدت زجاجة بها ماء ، كان الماء ساخناً من حرارة الجو ، فشربت منه الكثير واستلقيت على السرير .. بعد لحظات قليلة تصببت عرقاً ، وكأن الماء الذى شربته قد فرّ من مسامى توا .. عدت مرة أخرى إلى الماء وشربت منه الكثير ، وكأنى فى سباق مع العرق والماء .

بعد ساعة .. جاء الشاب صاحب المزرعة . يحمل صينية عليها إفطار من إنتاج المزرعة .. كوب من اللبن . عدد من البيض . ونوعان من الجبن . وكمية من العسل . وأخبرنى الشاب بأننى قد أصبت بالحمى .. وأننى قضيت ثلاث ليال فى الغرفة .. وأن طبيباً ظل بجانبى خلال الأيام الثلاثة .. وأننى كنت أتصيب عرقاً كثيراً .. حتى إن الطبيب كان يخشى عليك أن تصاب بالجفاف . وأنه أعطانى محلولاً مائياً . حتى يبقى الماء فى جسدى . ولا يتحول بهذه السرعة الرهيبة إلى عرق .

وشكرت الشاب ..

وحاولت أن أتناول شيئاً مما حمله فلم أتمكن .. وسألته متى أبدأ العمل ؟ فرفض أن أعمل حتى تذهب علتى . فسألته عن سر اهتمامه بى .. فقال لى ان شاباً يطلب كتاب الله أجرا لعمله . ألا يستحق كل رعاية . وقال إنه عندما يتم شفائى تماما .. سوف أعمل .. وحاول أن يعرف الكثير عنى . ولكنى لم أخبره بأكثر من كونى مزارعاً . أجدد القراءة والكتابة فقط .. وجلس معى فترة من الزمن وخرج . وترك الصينية بما عليها . ورجانى أن أتناول شيئاً . فالحمى فى حاجة إلى غذاء .

بعد لحظات .. بدأت المعركة الشرسة .. بين مقاومة جسدى لاحتياجه للسم اللعين . وبين الآلام المبرحة التى تركها هذا السم .. وعدت إلى كتاب الله . أقرأ بصوت عالٍ . كلما اشتد الألم . وأتوسل إلى العلى القدير أن يوقف هذه الآلام .

وإذا بى أمام آية من كتابه العزيز ، توقفت عندها كثيراً . إن الآية الكريمة تقول :
« وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » صدق الله العظيم . (٦٨ - ٦٩ سورة النحل)

توقفت طويلاً عند هذه الآية ..

حاولت بعد تلاوتها أن أعايش الألم .

وذهبت إلى طبق العسل الموجود أمامى .. وأجبرت نفسى الرافضة على ضرورة تناوله .

تناولت كل العسل ، أحسست بعدها بارتياح قليل ، وشربت الماء ، وعدت إلى كتاب الله ، وفترات فى آياته عدة ساعات ، حتى جاء الشاب ، ومعه صينية أخرى للغذاء من إنتاج المزرعة ، خضراوات مطبوخة ودجاجة مسلوقة ، وفاكهة .

وغضب عندما رأى إفطاري لم أتناول منه غير العسل .
قلت لصاحب المزرعة :

— أرجوك .. بدلا من كل هذا .. أعطنى طبقاً من العسل ، إنه علاجى ، وبعد شفائى سأتناول كل ما يقدم لى .
قال :

— سأتيك به .. وسأضع لك فيه بعضاً من غذاء الملكة .. ولكن على الأقل تناول الفاكهة .

تناولت الفاكهة على الرغم منى ، وكدت أعيدها من أحشائى . لولا خجلى من هذا الشاب الطبيب المؤمن .

طلب منى الشاب أن أخرج من الغرفة ، وأسير قليلاً بين الأشجار ، كل هذا والمعركة دائرة فى داخل جسدى ، وأنا أكتم أنفاسى حتى لا يسمع أحد تلاحم أسلحتها فى داخلى .
وخرجت تلبية لطلبه ، وسرت قليلاً ، وعدت متعباً إلى غرفتى .

وعاد الشاب بكمية وفيرة من العسل .. وتركنى وخرج .. وبدأت فى تناوله ، وجدت صعوبة .. ولكن على الأقل أتناوله بما فيه من غذاء الملكة .. بعدها شعرت بحاجتى إلى النوم ، والنوم أرحب به فهو يبعدنى عن شعورى بمعارك جسدى .

مرة أخرى .. لا أدري كم قضيت مع تلك الكوايبس التى تتلاحق واحدا وراء الآخر .. احسست أن « المسحوق اللعين » كشيطان فى جسم الإنسان .. يخرج بصعوبة .. ولكن حقيقة أسعدتنى .. إننى كرهت هذا المسحوق ، وسوف أفضل الموت أو الانتحار على الإقدام عليه مرة أخرى . أمر آخر أسعدنى وشجعنى على مواصلة الرحلة الأليمة ، لقد تذكرت اليوم فقط طفلتى الجميلة التى أحببتها حباً جمّاً ، تذكرت ابنى الصغير ، تذكرت زوجتى الفاضلة ، تذكرت شقيقى ضابط الشرطة ، وشقيقى الطبيب الشاب ، تذكرت رحلة الكفاح الطويلة التى خضتها من القرية حتى مكانى فى طائرة فوق السحاب .

وجدت صاحب المزرعة قد ترك لى طبقاً مليئاً بالعسل . شربت الماء .. **ولا أدري** ..
وجدتني **أذهب** إلى دورة المياه أتوضأ . وعدت إلى غرفتي لأصلى .. ولكن أية صلاة ؟ ..
صلاة الفجر . أم صلاة الظهر . أم صلاة العصر . أنا لا أدري الوقت . وصليت عدة ركعات
متواصلة شكراً لله خلال الصلاة حدثت هدنة بين القوات المتحاربة فى جسدى – لا أدري كم
ركعة صليت ؟ ولكنى شعرت أن ذلك الشيطان الذى سكن فى جسدى يستعد للرحيل ..
تناولت العسل . شربت الماء . وجلست أتلو آيات من القرآن الكريم حتى أسدلّ الليل
ستائره .

أديت صلاة العشاء . جلست أتلو آيات من القرآن الكريم . ثم واجهت امتحاناً صعباً ..
لقد اشتدت الآلام فى جسدى . كما لم تشتد من قبل تملكتنى رغبة ملحة فى الصراخ
والبكاء . دخلت معركة كتمان الصراخ . ولكن تركت دموعى بلا حواجز . وانتهت تلاوة
القرآن . من شدة الألم وبكيت . وأجهشتُ فى البكاء . وأفرغت أنهاراً من الدموع . وألعن
الشيطان الكائن فى جسدى . وأتوسل إليه أن يخرج . فقد هدنى تماماً . ورحت فى نوم
عميق .

ظل هذا الصراع ممتداً لا يقل عن خمسة عشر يوماً . بعدها خف الألم . وقل العرق .
وتوقفت الدموع .

وطلبت من صاحب المزرعة أن أبدأ العمل .. ووافق على ذلك .

كنت أستيظ فى الصباح الباكر ، **أودى** صلاة الفجر . وأتناول العسل .. ثم أتلو القرآن
الكريم حتى تبزغ الشمس تماماً . فأخرج إلى الحقل . وأسقى الزرع . أقلب التربة بالفأس .
أشق القنوات للمياه .. وعندما أصاب بالإرهاق أعود إلى غرفتي . وأنام .

فى البداية .. كنت أنام كثيراً .. ثم قل النوم رويداً رويداً .

وبعد عدة شهور . أحسست أن الشيطان قد خرج تماماً من جسدى .
جلست مع صاحب المزرعة . أروى له حكايتى .. وكانت مفاجأة لى أنه كان يعلم من
الطبيب أننى مدمن . وشعر أننى جئت للعلاج من الإدمان .

بعد ستة أشهر .. أخذنى صديقى صاحب المزرعة إلى محافظ الوادى الجديد . حيث
حصلت منه على عشرة أفدنة . على مقربة من أرض صاحب المزرعة . وإذا بصاحب المزرعة
يعطينى ألفى جنيه لأبدأ مشروعى الجديد .. وقال إن هذا أجرك عن الفترة السابقة ..
ساعدتنى فى إصلاح الأرض وزراعتها .

مرّ عام على استلام الأرض .. وقد شفيت تماماً .. وأصبح لدى بيت بلا أسرة .. وأرض

جديدة .. ومال وفير .

وعدت الى القاهرة لأعيد أسرّتى ، لقد ابتعدت عن هذا الشيطان .. وكنت أفكر فى مصير
أسرّتى ، فى ابنتى الصغيرة ، فى ابنى ، تصورت أشياء كثيرة .. تصورت – مثلاً – أن
زوجتى تمكنت من الحصول على الطلاق . وتزوجت برجل آخر .. أرعبنى هذا التصور .
وخشيت أن يحطمنى هذا التصور لو تحول إلى واقع .. ولكن قلت لنفسى :
– سأعود بابنى وابنتى فى هذا المكان النظيف الذى لم يتلوث .

ألم أقل لكم فى بداية هذا الاعتراف .. إننى تزوجت امرأة فاضلة .
لقد وجدت الزوجة تعيش مع والدها . الرجل الطيب . وكانت فى انتظارى . كانت
متأكدة أننى سوف أشفى .. وسأعود قوياً منتصراً .. وكان لقاء رائعاً بينى وبين أسرّتى .
ونحن فى طريقنا إلى الأرض الجديدة .. سألتنى زوجتى :
– ماذا كان الدواء ؟ .

قلت :

– كتاب الله ..

قالت :

– ونعم بالله ..

هذه اعترافات كاملة ، لشاب قهر الهيروين ، فى معركة شرسة ، استعان فيها بكتاب
الله . وشراب فيه شفاء للناس ، وعزيمة لا تلين ، وقرار لا عودة فيه .

إذا زرت الوادى الجديد ، فستجد مزرعة مورقة أشجارها كثيرة ثمارها .. بداخلها صبى
وصبية يلعبان ويمرحان بسعادة ، وفتاة جميلة ترعى هذه الأسرة .. وشاب أسمر يعمل بجِد
وقوة وصحة وسعادة .. فتمنّى لهذه الأسرة السعادة .. فهى تستحق التقدير .. فكل فرد فيها
دخل معركة شرسة وانتصر فيها .

(٢)

قام ستة من الشباب المتعطلين بارتكاب جريمة اغتصاب فى حى المعادى الهادئ بطريقة وحشية . هزت ضمير الأمة من الأعماق . فيما عرفت فيما بعد بجريمة فتاة المعادى ، وكما هزت ضمير الأمة . فقد هزتنى من الأعماق . وطالبت فى عدة مقالات عنيفة وقاسية بإعدام هؤلاء الذئاب ، الذين اعتدوا على تلك الفتاة البريئة ، وكانت وجهة نظرى أن عقوبة الإعدام وحدها كفيلة بالقضاء على هذه الظاهرة . وتصديت يومها لفلاسفة التبشير بأن هذه الجريمة لها **دوافع اجتماعية** أخرى منها أزمة الإسكان وتكلفة الزواج . وارتفاع الأسعار . لم يقنعنى سبب واحد من هذه الأسباب ، يدفع بشاب أن يمسك فتاة بريئة وتحت تهديد السلاح ، وأمام خطيبتها ، ويعتدى عليها ، ثم يتركها لزميله وزميله يتركها لآخر وهكذا . بدأت محاكمة الذئاب البشرية ، وجاء تقرير الطب الشرعى مفاجأة مذهلة لا تفسير لها . فإن الفتاة رغم اعتداء ستة ذئاب بشرية عليها ، فإنها ظلت عذراء . وحمدت الأمة ربها ، أن صان الفتاة رغم وحشية هذه الذئاب !! وقد توجت هذه الحملة الإعلامية بصور حكم بإعدام هؤلاء القتلة . وارتاح وجدان الأمة . وتم تنفيذ حكم الإعدام فى بعض منهم . ونشرت صورهم فى الصحف . وتصورت أن الحكم وتنفيذه سوف يكونان ردياً قوياً لمن يفكر فى الاعتداء على الفتاة وعاشت كل فتاة لحظات أمان . ولكن

بعد فترة من الزمن ، أقرأ ، وأسمع عن حوادث اغتصاب وحشية ، وصلت إلى حد الاعتداء على أطفال لا يتجاوز عمر الطفلة منهن سبع سنوات ..
فأية رغبة جامحة تلك التى يمكن أن يدفع الذئب حياته ثمنا لها ؟ !
لا أنكر أننى احسست بإحباط شديد ..
إنن .. ماهو الرادع ؟؟ .

وشغلتنى هذه القضية فترة طويلة من الزمن . حتى جاء لزيارتي زميل مدرسة ، ورئيس محكمة جنابات ، وبدأنا الحديث عن أمور الدنيا ، وقضايا المجتمع ، ثم جاء ذكر قضية الاغتصاب .

قال الرجل : قرأت كل ما كتبت .. ولكنك حتى الآن لم تمس القاعدة التى تنطلق من فوقها معظم الجرائم . خاصة الجرائم الوحشية ، والجرائم التى لايعرفها المجتمع من قبل ، كالإغتصاب ، والسرقه بالإكراه ، وقتل الوالدين ، أو أحدهما ، والاحتيال والنصب ، كل هذه الجرائم تنطلق من قاعدة واحدة هى : الإدمان !! .

وبدأ الرجل يروى مأساة عُرِضَتْ أمامه ، وأصدر بشأنها حكما بلاسند من القانون ، فإن المشرع عندما وضع القانون ، رغم أنه استمد مواده من الشريعة الإسلامية ، فإنه لم يتصور وجود إنسان ما يخرق قوانين الطبيعة ، ويرتكب مثل هذه الجريمة .

كتمت أنفاسى وأنا أستمع إلى التفاصيل المثيرة لهذه القضية أو المأساة .
وتعالوا نستمع إلى قضية العصر .

قاعة المحكمة مليئة بجمهور الحاضرين على غير العادة . وفى قفص الاتهام سيدة فى الخمسين من عمرها ، على وجهها قهر الدنيا . وبجوارها سيدة فى الثلاثين من عمرها . هى ابنتها . وكل جمهور القاعة ضد السيدتين . فإن السيدة قد قتلت ابنها بمشاركة ابنتها . أى أن الأم والشقيقة قد قتلتا الولد .

وسألها القاضى :

— لماذا قتلت ابنك ؟ .. ؟ .

ولم ترد .

ثم سأل القاضى ابنتها :

— لماذا قتلت شقيقك ؟ .

— إذا أجابت أمى فسوف أجيب على السؤال .

وحاول القاضى أن يكون عنيفاً مع الأم حتى تستنير المحكمة . وتصدر حكماً عادلاً فى هذه القضية الغريبة . وفى نفس الوقت فإن المحامى العام يطالب بإعدام هذه السيدة وابنتها .

— أنت متهمة بقتل ابنك مع سبق الإصرار والترصد .

وسكتت الأم .. وواصل القاضى :

— إن العقوبة هى الإعدام .

ورفضت الإجابة على أى سؤال .. كما رفضت ابنتها أيضاً الإجابة على أى سؤال .

واحتار القاضى .. ماذا يفعل فى صمت هذه السيدة وابنتها ؟ .

فى حجرة المداولة ، رفض القاضى رئيس المحكمة أن يصدر حكماً مهما كانت عقوبته دون أن يسمع هذه الأم . وإلا كان هذا إخلالاً بالعدالة . قال القاضى لمعاونيه : إننى أشعر أن هذه المرأة إلى حد كبير فاضلة . وأن هناك أسباباً قد دفعتها إلى ارتكاب هذه الجريمة . إذا كانت قد ارتكبت فعلاً جريمة .

وعاد إلى أوراق التحقيقات ، ووجدها معترفة . سواء فى تحقيقات الشرطة أو النيابة . أنها قتلت ابنها ، عندما وجدت أنه يستحق الإعدام . وحفرت صحن دارها ودفنت الجثة فى الدار بعد أن مزقتها بالسكين هى وابنتها .

وأثناء قراءة رئيس المحكمة لهذه الأوراق ، وجد أن الشرطة قد توصلت إلى الأم وابنتها عندما تحدثت طفلة فى العاشرة من عمرها بأن جدتها وأمها قتلتا خالها وأبلغ الناس الشرطة بما سمعوه من الطفلة .

ووجد رئيس المحكمة أن حل لغز هذه القضية يكمن فى استدراج الطفلة .

وخرج رئيس المحكمة وأعلن تأجيل القضية واستدعاء الطفلة لكى تدلى بشهادتها .

حرص رئيس المحكمة أن يستمع للطفلة بعيداً عن قاعة المحكمة ، بكل ما فيها من رهبة وخوف وضجيج ، وقفص اتهام بداخله أمها .. وكانت الجلسة شبه سرية فى غرفة المداولة ، وأمر القاضى حاجب المحكمة أن يأتى للطفلة بكرسى تجلس عليه . وكوب من الشراب البارد . ثم بدأ يداعبها فترة غير قصيرة ، تحدث معها عن المدرسة . واستطاع أن

يستخرج من جسدها النحيل كل القلق والخوف ، وأن بعيد بصعوبة الابتسامة إليها .. ثم بدأ يسألها عن خالها ..

– لم أكن أحبه !! .

– لماذا ؟ .

– لأنه كان يضرب جدتى .

– كان يريد مالاً .. ولم يكن مع جدتى مال .

– ماذا كانت تقول له جدتك ؟ .

– كانت دائماً تقول له إنت مؤمن .. كلما تشاجرت معه تقول له يامؤمن .

– مؤمن ؟ !

– نعم .. مؤمن .. وأحياناً تقول له إن الإيمان .. سينهيك .

– الإيمان ؟ .

– نعم .. وكنت فى دهشة .. فأنا أعلم من المدرسة أن الإيمان كله عظمة ..

– ياابنتى .. الإيمان أمر عظيم .. وجدتك كانت تقول له انت مدمن .. وأن الإدمان

سينهيك ..

– صح .. وما معنى الإدمان ؟ .

– هذه قصة طويلة ..

وبدأت الطفلة تروى ليلة الجريمة .. بكلمات بسيطة ورعب شديد ..

كانت الجدة والابنة والحفيدة فى غرفة نوم واحدة ، عندما دخل الخال ، وحاول أن

يوقظ الطفلة من النوم ، فاستيقظت الأم والجدة ، وذهبت الجدة مسرعة الى المطبخ وجاءت

بسكينة كبيرة ، غرستها فى ظهر الخال ، ثم أخرجتها . وغرستها مرة أخرى !! .

وبكت الطفلة الصغيرة وهى تروى ماشاهدته لرئيس المحكمة ، واكتفى القاضى بهذا

القدر من الحديث مع الطفلة الصغيرة . !! .

– محكمة !! .

ودخل رئيس المحكمة إلى القاعة بين وقوف كل من فى القاعة ، وجلس القاضى وهيئة

المحكمة ، فجلس الجميع .

وأعلن القاضى أن الجلسة سرية .. لا أحد فى القاعة إلا المتهمين والدفاع فقط .

وخرج الجميع من القاعة ..

والتفت القاضى الى الام ..

— لماذا الصمت ؟ .

ولم ترد ..

فقال رئيس المحكمة :

— أنا أحترم صمتك .. ولكن الآن .. لسنا فى حاجة إلى هذا الصمت .. لم يعد أحد

بالقاعة .. والقضية عرفت خطوطها العريضة .. ولا أريد منك المزيد .. وكل ما أريده أن تردى
على سؤالى بكلمة واحدة .. نعم أم لا .. وهذا يكفينى .

— ابنك .. ألم يكن مدمنا ؟ .

— نعم ..

— حشيش ؟ .

— لا .

— هيروين .

— نعم .

— ألم يرهقك ماليا ؟

— نعم .

— حاول اغتصاب حفيدتك ؟

— نعم .

— وأثارك هذا .. فجئت بالسكين وقتلته .

— لا .

بهذه الاجابة ، عادت الألغاز حول القضية ، إلا أن رئيس المحكمة كان طويل النفس .
وقد تسلطت عليه من البداية فكرة تقول : إن السيدة التى هى فى قفص الاتهام ليست قاتلة ،
بل فاضلة ، وظل يحاورها حتى عرف منها الحقيقة .. كل الحقيقة .

مات زوجى ، وأنا فى ريعان شبابى ، فعشت لابنتى ولابنى ، وكنت أضع فى ابنى الأمل
والمستقبل ، وأنه سوف يعيننى فى كبرى ، وكنت فى حاجة إلى عائل للبيت ، فأقمت منه
عائلاً دون مسؤوليات العائل ، فالأمر فى البيت أمره ، والمشورة مشورته ، وكل دخلى — بلا
مبالغة — له .

كنت أتمناه ضابطاً .. مهندساً .. طبيباً .. محاسباً .. وأقل شئ أن يكون مدرساً كوالده .
لأن مهنة التدريس متعبة ، وكانت السبب فى توقف قلب زوجى وهو صغير وترك لى الطفل
والطفلة .

وكبر ما كان بالأمس طفلاً .. وأصبح صبياً فاشلاً تماماً فى دراسته . وأصبح يذخن

بشراهة عندما بلغ من العمر خمسة عشر عاماً .. وكان يطلب منى ثمن الدخان .. وكنت أعطيه كل ما يطلب .. فلقد كان حبى له بلا حدود .. وكم من مرة أحاول أن أساعده فى استذكار دروسه .. إلا أن هناك كراهية فى داخله للعلم والتعليم .. حاولت أن أعلمه حرفة .. فرفض تماماً أن يتعلم أية حرفة .. وطويت أحزاني بداخلى !!

تزوجت أخته .. وتركت لنا البيت
وعشت سنوات مع الفشل الذى هو ابنى .

كبر الفشل فى ابنى .. أو كبر ابنى على الفشل .
وذات يوم .. دخلت عليه حجرته الخاصة .. وجدته - بكل جرأة وقسوة - يعطى لنفسه
حفنة هيروين .

وثرث عليه .. وصرخت .. وبكيت خوفاً عليه .. فلقد كنت قد شاهدت فى التليفزيون
برنامجاً عن نهاية الهيروين .. فأحسست أن ابنى سوف يموت .

أثناء رعبى .. وأثناء خوفى .. وأثناء صراخى .. خرج ابنى المدمن .. وصفعنى على
وجهى .. نعم .. صفع أمه .. فانتزع بيده .. وفى لحظة واحدة كل سنوات الحب التى
مضت .. وحاولت أن أمزقه .. ولكنه كان الأقوى .. والأقسى ..
لست أنت أبنى ..

فالذى أمامى هو حيوان مفترس ..
الذى أمامى .. رجل فقد وعيه .. وعقله .. وكل قيمه ..
وعشت حزينة .. فلقد ضاع الأمل الأخير فيه .
ثم حدث تطور جديد خطير .
أصبح يأخذ ما معى من مال بالقوة .
وأخذت أفكر كثيراً فى أمر ابنى الذى أدمن .. والذى أفقده الإدمان عقله .. هل أبلغ
عنه الشرطة ؟ .. هل أنتظر ربما أجد فرصة لأعيده إلى صوابه .. ماذا أفعل ؟ .

وأثناء هذا التفكير ..

دخل ابنى وكنا فى الثالثة صباحاً ..

واتجه إلى غرفتى ..

وكان منظره بشعاً يثير الغثيان ..

ثقیل اللسان .. أصفر الوجه .. اختفت نضارته .. واختفى معها بريق عينيه ..
قال كلاما لم أفهمه ..
لأول مرة أخاف من ابني ..
اقترب مني .. بلا وعي ..
مزق ثيابي ..
حاول الاعتداء على .. أمه ..
تمكنت من الإفلات من يديه .. وخرجت مذعورة من بيتي .. وجريت في الشوارع حتى
وصلت إلى بيت ابنتي .. أحمد الله أن أحدا لم يشاهدني بملابسي الممزقة .. وطرقت باب
ابنتي بشدة .. ففتح الباب لي زوجها :
- ماذا حدث ؟ ..
واستيقظت ابنتي .. وبكت عندما شاهدت ملابس ممزقة .. وأنا في حالة غاية في
السوء والتوتر .. ورويت لهم رواية كاذبة صدقوها .. قلت إن لصا جاء ليسرقني .. ولما
اعترضته .. مزق ثيابي .. فردت ابنتي :
- وأخى ..
- لم يأت بعد ..
وقاما بتهديتي وحاولت أن أنام ولكن كيف ؟ ..
لن أتمكن من وصف مشاعري في تلك الليلة .. وما تلتها من ليال طويلة ..

في الصباح خرج زوج ابنتي إلى عمله فرويت لابنتي ما حدث من أخيها .. رويت لها بكل
صراحة .. فطلبت مني الإقامة معها ..
عشت معها شهرا .. ثم طلبت منها أن أعود إلى بيتي فربما يكون أبني قد مات من
حقنة هيروين ، أو هاجر أو انتحر ..
أسفة .. لقد كانت هذه كل أمنياتي لابني ..
وذهبنا إلى البيت .. أنا .. وابنتي .. وابنتها ..
ووجدنا أن ابني قد باع الكثير من أثاث البيت ..
وفي الثالثة صباحا عاد .. كما عاد في المرة السابقة .. عاد هذه المرة ليحاول الاعتداء
الوحشي على الطفلة التي هي حفيدتي .. حاولنا أن نخلصها من يديه .. فلم نتمكن ..
فذهبت مسرعة إلى المطبخ .. وجئت بالسكين .. وغرست السكين في ظهره .. فخرجت من
جسده نافورة من الدماء .. أحسست بهستيريا شديدة .. ولا أدري كم مرة أخرجت السكين

من جسده .. وطعنته بها حتى مات ..

وأحسست ان العار قد مات .. والفشل قد مات .. والإدمان قد مات !! ..

ثم جلست بجوار الجثة أبكى من كان ابنى ..

سیدی القاضی ..

صدقنى .. أنا القاتلة والقتيل ..

صدقنى .. أنا الجروح .. والسكين ..

صدقنى .. لم أندم .. ولكنى متهورة .. فما كنت أتصور أن تكون النهاية .. هى تلك
النهاية ..



جلست أنا واستنى تفكر فى أمر الجثة .. والفضيحة .. والحكومة ..

وكانت حفيدتى طوال الوقت نائمة .. وترتعد خوفا .. هى لم تكن نائمة بالمعنى
الحقيقى للنوم .. ولكنها أغمضت عينيها ..

وجاءت لابنتى فكرة ..

نحن نسكن فى الدور الأرضى من البيت .. ويمكن إخفاء الجثة داخل المنزل .. بعدها
نشيع على الناس بأن « الابن » قد هاجر أو .. وأترك البيت وأقيم لدى ابنتى حتى الموت ..

وفعلنا .. رفعنا البلاط من الأرض .. وحفرنا قبراً له .. والقينا فيه الجثة .. وأعدنا كل
شئ الى ما كان عليه ..
ولكن ..

بعد شهر من ارتكابى الجريمة .. جاءت الشرطة .. ووجدت الجثة .. فالطفلة روت ما
شاهدته للناس .. والناس أبلغوا الشرطة ..

هذه هى روايتى !! ..



— محكمة —

ودخل رئيس المحكمة ، ووقف الحاضرون ، وجلست هيئة المحكمة ، وبدأ القاضى فى
النطق بالحكم ، وساد صمت رهيب فى القاعة ، وبدأ يتلو حيثيات الحكم ، ولهذا الأسباب
حكمت المحكمة ببراءة المتهمه وابنتها ..

أسعدنى هذا الحكم سعادة غامرة .

ثم .. التقيت بالدكتور صالح ثابت .. أستاذ الأمراض النفسية .. كان الحديث عن تأثير الهيرويين جنسيا .. فهناك ادعاء بأنه منشط وهو – كما يقول الدكتور صالح ثابت – ادعاء كاذب ، إنه يسبب العجز . ولكنه يصور للمدمن أنه قادر ، وأن لديه الرغبة وهى رغبة كاذبة ، فيتحول المدمن الى وحش كاسر .. وفى نفس الوقت .. هو ضعيف جنسيا إلى أبعد الحدود .. والدليل على ذلك أن تلك الرغبة قد اتجهت نحو سيدة مقدسة بالنسبة له هى أمه . والدليل الآخر أن فتاة المعادى، ظلت عذراء رغم الاعتداء عليها من ستة ذئاب بشرية.



(٣)

من أنا .. ؟ .

أنا فنان مصرى ، عرفت الفن وأنا فى الرابعة عشرة من عمرى ، وحفرت مستقبلى بأظفارى فى الصخر ، حتى أصبح لى اسم مرموق فى سماء الفن ، وفى السابعة والعشرين تزوجت سيدة فاضلة ، أحببتها وأحبتنى بجنون ، كانت ومازالت تركض خلفى فى استديوهات السينما والإذاعة والتليفزيون .

أنجبت طفلاً هو كل حياتى .. عشت كل السنوات الماضية أجمع له المال ، حتى وفرت له الكثير ، فلقد حرمت — من شدة الفقر — من المال والتعليم ، وعلى أيامى كان التعليم مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالمال .. من هنا كان حرصى أن أقدم لابنى ما حرمنى القدر منه . عندما بلغ ابنى السادسة من عمره ، طلب والدى منى أن ألحق الولد الوحيد لى بالمدارس الأزهرية ، كان يؤكد لى أن التربية الإسلامية وحدها تصون الإنسان من كل موبقات الحياة .. ولكنى رفضت .. لماذا ؟

اسمحوا لى أن أعترف بصراحة .. أن أفتح قلبى .. كل والد يريد لابنه الهداية . الأفلام التى عملت فيها ، جعلتنى أرفض الفكرة ، فخريج الأزهر الذى أراه فى أفلامنا السينمائية رجل يُنْقَرُ أى والد من أن يُلْحَقَ ابنه بكليات الأزهر ومعاهده ومدارسه .. ولم أكتشف أن مجموعة من الملحنين والشيوعيين والعنصريين فى السينما المصرية هى التى رسمت صورة رجل الدين ..

هذه الصورة يا سادة ، جعلتنى أبحث لابنى ، وهو أملى وكل مستقبلى ، عن المدارس الأجنبية ، أو ما يطلق عليها : مدارس اللغات ، وكان ابنى عبقرى ، فعندما حصل على الثانوية

العامة ، كان يجيد ثلاث لغات ، هي : الإيطالية والفرنسية بالإضافة إلى الانجليزية ، وطبعاً
اللغة العربية .

آه ! .. أتذكر الآن يوم حصوله على الثانوية العامة ..

لقد أقمت له حفلاً فى إحدى صالات الفندق الكبير ، تحدثت عنه الصحف لعدة أسابيع ،
كان الحفل عُرساً لى من جديد ، كان فرحاً لى .. فلقد لمست لنفسى – فى عبقرية ابنى –
مستقبلى .. كنت أشعر فى هذا الحفل الذى حضره كل نجوم السينما والمجتمع والصحافة ،
أننى أنا – المحروم من العلم والمعرفة – الذى قد حصلت على الدكتوراه ، فكنت أطير
كالفراشة فرحاً بين المدعويين ، حتى نظرات الحقد والسخرية من البعض رأيتها فى هذه
الليلة ، نظرات حب وتقدير لى ، على مسيرتى الشاقة ، حتى جئت للبشرية بشاب عبقرى
طموح .

بعد الحفل .. عدنا الى البيت . غنيت لابنى .. بل رقصت له .. ثم جلسنا فى الشرفة
تداعبنا نسمات الفجر المنعشة فى يوليو .
وسألته :

– أية كلية يا بنى سوف تختار ؟

نعم .. فهو من القلائل الذين لهم حق الاختيار لمجموعه الكبير الذى حصل عليه
فى الثانوية العامة ، مما جعل كل الكليات ، وكل الجامعات تفتح أبوابها له .
قال :

– أريد الالتحاق بجامعة إيطالية .

ورقصت طرباً لطموحات ابنى ، فسوف يصبح « خواجه » مائة فى المائة ، وصور
لى ظلام عقلى أنه سوف يصبح أحسن من كل المصريين ، ووافقت على الفور ، فكل ما
جمعته من مال له ، وكل نجاح أخطوه فى ساحة الفن من أجله ، وهو لم يخذلنى أبداً .

* يواصل الفنان المصرى اعترافاته ، وهو يبكى :

– وودعت ابنى فى المطار بالدموع ، فهذه أول مرة فى حياتى أودعه ، كان هو
الذى يودعنى ، وسوف نفترق شهوراً .

وعلمت أنه التحق بكلية الإدارة فى روما .. ومن شدة شوقى إليه سافرت إليه فى العاصمة الإيطالية بعد رحيله بشهرين فقط ، وأول ما ذهبت ، ذهبت إلى المستشار الثقافى المصرى ، حيث كنت قد التقيت به فى حفل بالقاهرة ، وكم كان اللقاء حاراً ، وكم كان اللقاء ودياً ، ولأول مرة يعلم أن ابنى يدرس فى روما ، وأخذنى بسيارته إلى الجامعة .

لم أدخل جامعة مصرية أو أجنبية فى كل حياتى ، وعندما شاهدت الجامعة بطلابها ، شعرت أننى أشاهد شيئاً رهيباً وعظيماً ، وشعرت برهبة ، فالطلاب كالملائكة ، فى عمر واحد ، بل ربما خيل لى أنهم شكل واحد ..

وبين هؤلاء كان ابنى .. لم أره .. فالكل متشابهون .. ولكنه هو الذى رأتى وارتمنى بين أحضانى ، وقدمته لصديقى المستشار .. وذهبنا معه إلى المدينة الجامعية ، حيث خصصت له الجامعة غرفة خاصة ، أسعدنى دخولى غرفته ، فلقد علق على حائطها صورة كبيرة لى ، كتب أسفلها جملة بالإيطالية ترجمها لى المستشار :

— أبى .. حبى واحترامى .

ونظر ابنى خجلاً وهو يستمع إلى ترجمة المستشار .. واحتضنت ابنى وأنا أبكى فرحاً وطرباً وحباً .

اتفقنا .. أن يكون ولى أمره فى إيطاليا مستشارنا الثقافى ، وأن يرعاه ، وكان المستشار شهماً .

وقضيت مع ابنى فى إيطاليا أسبوعاً هو أحلى أيام عمرى .. وعدت إلى القاهرة سعيداً ، وقد أطمأن قلبى على وحيدى العبقرى .

رسائل ابنى لم تنقطع ، وبين فترة وأخرى تصلنى رسالة من صديقى المستشار .. حتى كان يوم ، جاءت رسالة غاضبة من المستشار .. تقول الرسالة :

— « علمت أن ابنك قد وقع فى غرام فتاة إيطالية ، زميلة له فى الجامعة ، وأخشى أن تعوقه عن مواصلة دروسه » .

صدقونى .. لم أحزن .. بل أخذت هذه الرسالة .. وطرت بها فرحاً إلى أمه .. وأخبرتها بأن « الصغير أصبح رجلاً » .. واستطاع أن يتعرف على الإيطاليات .. وكنت أشعر فى قرارة نفسى أن نساء العالم لن يتمكن من تعطيل ابنى العبقرى عن مواصلة نجاحه وتفوقه .

انتهى العام الدراسى .. وعاد ابنى فى الإجازة الصيفية .

وأثناء الإجازة حدث أمران :

الأول أسعدنى .. وهو نجاح ابنى .. وانتقاله إلى السنة الثانية .

الثانى أحزننى .. وهو انتقال صديقى المستشار من روما إلى مكان آخر .

ذات يوم .. عدت بعد سهرة عمل فى الخارج .. لأجد ابنى يستمع إلى رسالة بالـإيطالية على الكاسيت فى شرفة المنزل .. وداعبته :

— أنا أعرف ماذا تسمع ؟ إنها رسالة حب من فتاة إيطالية إليك أليس كذلك ؟ .

كان ابنى خجولاً .. يحترمنى إلى أبعد حدود الاحترام .. كل ما فعله أن نظر إلى الأرض .

قلت له إننى أعرف حكايته معها منذ أن بدأت .. ولا مانع عندى ، على الإطلاق ، أن يتزوجها حتى وهو طالب ، فعندى من المال ما يكفى للإنفاق عليه هو وزوجته فى أى مكان من العالم ، والزواج فى الغربية سوف يعصمه من كل الأخطاء .. وعرضت عليه الفكرة فرحب بها .. وطلبت منه أن يكتب لها بذلك .

انتهت الإجازة الصيفية ، وكان قد أرسل لها بفكرتى ووافقت عليها .. وسافرت معه وأنا أحمل معى عدة « ملايين من الليرات الإيطالية » .. والتقيت بالفتاة وبأسرتها ، هى على جانب كبير من الجمال ، من أسرة إيطالية أقل من المتوسطة ، واضح أنها أسرة مفككة ، لا عواطف بين أفرادها .

تم الزواج فى السفارة المصرية .

واستأجرت لهما مسكناً صغيراً قريباً من الجامعة .. وقمت بتأثيثه أثاثاً مريحاً . وعدت إلى القاهرة غير مستريح لما فعلت ، فلقد كنت أتمنى لابنى فتاة من وطنى ، وأقيم حفلاً كبيراً يتناسب مع حجم حبنى لابنى وثروتى التى جمعتها .

ولكن .. مادام هذا الأمر قد أسعد ابنى .. فلا مانع ..

استمر ابنى وزوجته فى دراستهما فى إيطاليا خمس سنوات ، لم ينجبا خلالها ، فلقد اتبعا الوسائل العلمية فى تحديد النسل .. وكم كان يسعدنى أن أكون جداً ، ويتركألى ابنيهما

فى القاهرة . ولكن حرمتم من هذه السعادة .

عاد الابن وزوجته للإقامة فى القاهرة .

وكنْتُ سعيداً بذلك ..

عرضت عليه أن يعمل فى وزارة الخارجية .. فكلمتُ أن أرى ابنى سفيراً ، فأننا
أشاهد السفراء فى الأفلام التى عملت بها .. لهم المهابة والاحترام .

ولكنه رفض العمل بالحكومة .. وفضل أن يعمل لحسابه ..

وطلبتُ منه أن يفكر فى المشروع الذى يختاره .. ورأس المال الذى يريده .

عاد ابنى بعد أسابيع بمشروع ضخم ، يكلف ثلاثة ملايين من الجنيهات ، لن أنكر لك
اسم المشروع ، فهو واحد من المشاريع التى ولدت عملاقة وأصبح اسمها على كل لسان ، ثم
ماتت بالسكتة القلبية .

لم يكن معى كل هذا المبلغ ، وأغراني حديث ابنى عن أرباح هذا المشروع ، ودورة رأس
المال السريعة ، وأن مستقبله كواحد من رجال الأعمال ، يتوقف على قيام هذا المشروع .
قمت ببيع كل ما أملك ، واقترضت من البنوك نصف المبلغ على الأقل بضمان أرض
المشروع .. وبدأ العمل فى المشروع .

إحساس غامض انتابنى أثناء إقامة المشروع .. بأن ابنى لم يكن متحمساً لهذا المشروع
العملاق .. وفى نفس الوقت لم يكن مهتماً بالاهتمام الذى أعرفه عنه عندما يصمم على أمر .
تعطل المشروع كثيراً .. وأنفقت الكثير من الأموال فى غير موقعها مما أدى بى إلى أن
أستدين مرة أخرى ..

وفى هذا الوقت المظلم .. وضعت زوجة ابنى طفلاً جميلاً .. كان هذا الطفل هو
سعادتى ..

أقيم المشروع المدين .. وأعلننا فى كل وسائل الإعلام ، واستبشرت خيراً .

ومضى عامان .. والمشروع لا يُدرُّ أرباحاً .. بينما إنتاجه فى كل الدنيا .

ومطالبات البنك لتسديد الديون اشتدت عنفاً وتهديداً .

حتى كان يوم ..

وذهبت إلى منزل ابني .. طرقت بابه .. فتحت لي الخادمة .. سألت عن ابني وزوجته ..
فأشارت إلى إشارة لم أفهم معناها إلا بعد فوات الأوان ، بأنهما في غرفة النوم ..
الطفل في الخارج يبكي بكاء مرأ .. فحملته على كتفي ..

سمعت صراخاً في الداخل : إن ابني يصرخ ..
وضعت الطفل على أريكة وأسهرت إلى غرفة النوم .. وفتحت الباب ، وشاهدت مشهداً
لم أفهم معناه إلا فيما بعد .

زوجة ابني تحمل « المحقن » .. وتبكي .. وهو يمد يده لها ويصرخ .. كان الاثنان
يتحدثان بالإيطالية .

— ما هذا ؟ .

— لا شيء يا أباي .

— هل أنت مريض ؟ .

— قليلاً ..

— ماذا بك ؟ .

— إرهاق ؟ .

— ما هذه الحقنة ؟ .

— فيتامينات .

— لا ترهق نفسك .

— حاضر .

طلبت منه أن يخرج ليجلس في الصالون لتحدث في أمر المشروع ، وخرج وهو ينظر
لزوجته شذراً .. وعاتبته في البداية على هذه النظرة إلى زوجته ، فأخبرني بأنها كسرت
« أمبول » الفيتامين ، ولم يكن بالمنزل غيره ، وهو في حاجة ماسة إليه ، طلبت منه أن يرسل
الشغالة إلى الصيدلية القريبة لتشتري غيره ، ولكنه رفض .

بدأت أحدث عن المشروع ، وعن تهديدات البنك ، ولكن ابني لم يكن مدركاً لما أقول ،
وفجأة .. قفز من فوق الكرسي الذي كان يجلس عليه .. وبدأ يصرخ .. ويتألم بقسوة ..
ويشكو من عظامه .. ويتمنى أن يموت أو ينتهي الألم ..

عشت الرعب كله .. أخذت ابنى فى أحضانى .. ولأول مرة يدفعنى بعيدا عنه .. ثم
يصرخ ويتألم .. وقال لى :

– أخرج .. واشتر لى هذا الدواء .. أنت تستطيع أن تأتى لى به .

وكتب بيد مرتعشة اسم دواء ..

وخرجت مذعورا .. مسرعا ..

وذهبت إلى الصيدلية القريبة .. ورحب بى الصيدلى .. ثم مدت له يدى بالورقة ..

– لمن هذا ؟ .

– لابنى .

– ابنك مدمن يا أستاذ

– مدمن ؟ ! .

– نعم .. لقد أعطيته من قبل هذا الدواء عدة مرات دون أمر من طبيب مجاملة لك ..

ولكنه كان يلح فى المزيد ..

– ما اسم الدواء ؟ .

– سيتيدول .. وهو مخدر قوى .. ولا يصرف إلا بأمر الطبيب .

– إنه يصرخ ..

– أسف يا سيدى .. فهذه جريمة ! .

عدت إلى ابنى وكلى غضب ..

يا أصدقائى ، أدعو الله ألا يصيب والدأ بتلك المشاعر التى أصابتنى ، عندما علمت أن

ابنى .. ووحيدى مدمن ..

كنت أتففس بصعوبة بالغة .

أرى مستقبلى كله وقد تحول إلى أطلال .

أرى الدنيا ظلاماً كريهة لا تستحق اللقاء أو الحب .

كنت أجز جسدى جراً فى الطريق إلى الأمل المفقود ..

ودخلت البيت .. ووجدت حطام شاب .. ابنى يصرخ من الألم .. بكيت ..

— هل أنت حقاً مدمن ؟ .

وإذا بالشاب الوديع .. وحش مفترس .. « يجز على أسنانه » .. يصرخ من الألم ..
يسأل فقط عن « دواء الإدمان » ..

— هل أنت مدمن ؟ .

— أنقذنى .. إننى أموت ..

ياأصدقائى .. قولوا ما تشاءون ..

قولوا .. إننى رجل ضعيف .

قولوا .. إننى رجل تافه .

قولوا .. إننى فقدت الإرادة .

لقد وجدت نفسى .. أسير فى شوارع القاهرة أبحث فى الصيدليات عن هذا الدواء ..
حتى عثرت عليه بسعر مرتفع جداً مع نظرة حادة من الصيدلى .. وعدت إلى ابنى .. وقدمت
له بنفسى « السم » .. وأخذته بسعادة .. وأسرع إلى غرفة النوم .. وخلفه زوجته .. وتوقف
الصراخ .. وخرجت ..

كان الفنان يروى للدكتور مصطفى المنيلوى أستاذ الجهاز الهضمى فى مصر ، وأنا قصة
ابنه مع الإدمان .. فالدكتور المنيلوى صديق للفنان ، ويطلب منه علاج ابنه ..

قال الدكتور المنيلوى :

— العلاج يحتاج بشدة إلى إرادة قوية .. فالسوائل المخدرة التى يتناولها المدمن عن
طريق الدم بصفة خاصة .. تؤثر تأثيراً مباشراً فى الجهاز العصبى .

ذهب الدكتور المنيلوى وأنا إلى منزل الشاب .. كانت آثار المخدر باقية فى جسده
النحيف .. لقد أصيب الدكتور المنيلوى بصدمة عندما شاهد هذا الشاب .. قال .. همسا ..
لقد كان كله حيوية .. وصحة ..

* وبدأ الحوار المثير ..

— متى تناولت هذا المخدر الملعون لأول مرة ؟ —

— فى إيطاليا .. فى السنة الثانية .. لقد جاء مجموعة من الشباب الإيطاليين ، ومعهم هذا المخدر ، ولكنه يحمل اسما آخر ، رفضت فى البداية .. شجعتنى زوجتى .. وأخذت لأول مرة فى حياتى .. وأخذت زوجتى .. ولكنها لم تكن أول مرة فى حياتها ، كانت نصف مدمنة . أى أنها تأخذ هذا المخدر على فترات متباعدة . وتكرر هذا كل أسبوع على مدى عام كامل . ولكن : خلال الأسبوع الأول كنت أشعر بالحاجة إليه ، وأبحث عنه فلا أجده . فاستعنت بزوجتى الإيطالية ، فتمكنت من توفيره لى . وبدأت أخذ جرعتين فى الأسبوع ، ثم ثلاث جرعات فى الأسبوع .

— ألم يؤثر ذلك على دراستك ؟ —

— فشلت تماما .. أنا لم أحصل على البكالوريوس فى العلوم الإدارية كما أخبرت والدى ..

مسكين هذا الفنان .. عندما سمع اعترافات ابنه .. وعندما علم أن ابنه قد فشل فى الحصول على الشهادة الجامعية .. سقط مغشيا عليه .. وقام الدكتور مصطفى المنىلاوى بإسعافه ..

وأغلقتنا محضر الاعتراف لهذا الشاب المدمن ، وأنشغلنا بوالده .. دخل الوالد المستشفى تحت رعاية الدكتور المنىلاوى ، وكان يعالج من حالة اكتئاب شديدة ، الغريب فى الأمر أنه انتشرت شائعة فى الوسط الفنى بأن هذا الفنان الذى تجاوز الستين من عمره فى المستشفى يعالج من « الإدمان » .

عدنا إلى الشاب .. ليروى لنا حكايته مع الإدمان .. يقول :

— عدت وزوجتى من إيطاليا وقد فشلنا فى تحقيق حلم والدى .. وعندما عرض على وظيفة فى وزارة الخارجية رفضت ذلك .. لعدم حصولى على مؤهلات الوظيفة .. — والإدمان ؟ —

— كان أول شيء بحثت عنه قبل أن يلتهم جسمى ما جئت به معى من إيطاليا .. وكان أمامى ثلاثة اختيارات :

الأول : الماكس فورت .. ولكنى علمت أنه يغتال الإنسان على مدى لا يزيد على

عامين .. حيث يسد السرايين .. ويموت بعدها المدمن .

الثانى : الهيروين .. ولكن الذهاب إلى مناطق شرائه فيه خطورة .. حيث عيون الشرطة – كما سمعت – مفتوحة . بالإضافة إلى أنه يصل بالإنسان إلى الموت أو الجنون فى فترة زمنية سريعة .

الثالث : الكوكايين .. وهو مسحوق سام .. غير متوافر فى مصر ..

فاقترحت على زوجتى اسم هذا الدواء .

– قال الدكتور مصطفى المنىلاوى :

– وهل تعلم مخاطره ؟ .

– مخدر .. ولكنه لا يغتال من يدمنه .

– لقد نصبت نفسك طبيباً .. خبيراً فى المواد المخدرة دون علم أو دراية .

وسكت الدكتور مصطفى المنىلاوى لحظة يتأمل ما جرى ، ثم قال :

– اسمع يابنى .. كل الأنواع التى ذكرتها قاتلة .. تتفاوت فيها فقط فترة سماح ضئيلة .. بعدها الموت .

وقلت للدكتور المنىلاوى :

– والحل ؟ .

– إرادة التوقف .

قال الدكتور مصطفى المنىلاوى :

– أتصور أنه لا أمل فى شفاء هذا الشاب .. إلا اذا طلق زوجته .. ورحلت إلى إيطاليا مرة أخرى .. لأنه فى حالة علاج الاثنين ، فإن أحدهما سيعيد الآخر إلى الإدمان .

رفض الشاب طلاق زوجته .. ودخل المستشفى يعالج من الإدمان وكذلك زوجته .. وفشل المشروع الكبير الشهير .. وباع البنك ما تبقى من المشروع فى المزاد العلنى .. وخرج الشاب وزوجته من المستشفى لا يملكان سوى تلك الشقة . لأنها « بالإيجار » .

وبعد حياة قاسية فى القاهرة .. عادت الزوجة .. ثم الزوج إلى الإدمان .. وأخذت الزوجة الإيطالية ابنها الصغير ورحلت به من مصر .

والآن .. إذا كنت صاحب صيدلية .. فلسوف تشهد هذا المشهد .. الفنان العجوز ..
يأتى لك قبل الفجر .. ويتوسل إليك قبل أن تسمع طلبه .. ويقول لك :

— ابنى فى البيت يحتضر .. قد يموت الليلة .. وقد يموت غدا .. ولكنه بالقطع سوف يموت .. تصور .. ابنى سيموت ! .. أنا السبب . أبعدته عن الدراسة الإسلامية فى صباه .. لم أسمع نصيحة والدى ، رحمة الله عليه .. وفكرت أن أعمل منه خواجة .. وفشلت .. جهل منى .. أنا السبب .

وسوف يبلغ الفنان ريقه بعد هذا الحديث .. ثم سيضع يده فى جيبه .. ويخرج لك ورقة عليها اسم دواء مخدر .. وقبل أن يسلمها لك .. سيقول :

— « ابنى يحتضر .. وحتى يموت لا أستطيع أن أراه وهو يتألم .. أعطنى هذا الدواء .. أرجوك .. أتوسل إليك .. إذا كنت قد أطربتك يوماً .. إذا كنت قد أدخلت على نفسك الابتسامة يوماً .. فردلى اليوم الجميل .. وأعطنى هذا الدواء لابنى .. فابنى يحتضر .. ولا أملك أن أراه يتألم ! » .

لاتتصور ولو للحظة .. أن هذا مشهد من فيلم سينمائى يقوم به هذا الفنان .. إنه مشهد حقيقى .. يتكرر كل ليلة .. حتى تحين ساعة رحيل الشاب الذى كان عبقرى !

(٤)

كانت الساعة الواحدة . بعد منتصف الليل ، ودق جرس التليفون فى منزلى فى هذه الساعة المتأخرة من الليل . وأحسست أن **أمراً** خطيراً قد حدث وما توقعته كان صحيحاً .

سيدة من أعلام مصر ، صديقة الأسرة ، تصرخ فى التليفون . وتستنجد بى .. فإن أحد أصدقاء ابنها الطالب فى معهد الطيران « محجوز » فى قسم الشرطة ، ولا تعرف السبب فى ذلك . وقد اتصلت بالضابط المسئول فرفض أن يعطيها أية بيانات .. وهى تخشى أن تذهب إلى قسم الشرطة وحدها فى هذا الوقت المتأخر من الليل ..

كنت أعلم أن ابنها شاب متهور ، يملك سيارة صغيرة يقودها بسرعة جنونية . فتصورت **أن الأمر** لن يزيد عن كونه حادثة . وتمنيت السلامة لهذا الشاب المتهور .

اتصلت بالصديق الأستاذ محمد بركة المحامى . ليكون معى إذا كان الأمر يحتاج إلى قانون . وذهبنا معاً ، ودخلنا القسم ، والتقينا بالضابط المسئول ، وسألنا عن الشاب مشروع الطيار ، فقال لنا إنه فى « الحجز » .

« والحجز » فى أقسام الشرطة المصرية ، مكان مخيف ، ففيه كل أنماط قاع المجتمع ، من الخارجيين على القانون ، والذين اعتادوا . الإجرام واعترضت على حبس طالب جامعى مع القتلة واللصوص فى قفص واحد ، ولكن الضابط طلب منى الهدوء حتى أعرف تهمة .. قال :

— لقد قبض عليه فى شارع مظلم ، وهو بداخل سيارة يعطى لنفسه « إبرة » بها أخطر أنواع المواد المخدرة .

ومددت يدي إلى بقايا كوب ماء على الطاولة أمام الضابط وألقيت بها فى فمى . بعد أن

شعرت بجفاف فى حلقى ، بل كل جسدى .. لقد كانت المفاجأة خطيرة للغاية . وكان تصورهما حلما أسود يصعب تحقيقه .. وإذا بالمستحيل يحدث ..

وقبل الاسترسال فى مأساة هذا الشاب ، أود القول بأن هذه المأساة كانت البوابة التى دخلت منها إلى عالم « الإدمان والمخدرات » ، وأنا أ لمس حجم مشكلة المخدرات ، لا فى مصر وحدها ، بل فى كل الدول العربية .. ولا يوجد فى عالمنا العربى من يعرف حجم هذه المشكلة الخطيرة سوى ضباط مكافحة المخدرات ، والأطباء الذين يتردد على عياداتهم المدمنون .

ولكن الأخطر أنه خلال السنوات العشر الماضية ، انتشرت السموم القاتلة ، وهى الكوكايين ، الهيروين ، الماكس فورت . وأن جماعات الإدمان تتسع يوما عن الآخر . حتى إننى التقيت بالعشرات من المهتمين بهذه القضية بحثا عن حل لها ، ولكننى أتصور أن الحل العاجل لهذه المشكلة ما قاله لى فضيلة الدكتور سيد طنطاوى مفتى الديار المصرية :-

- إن المخدرات أشد حرمةً من المسكرات ، رغم أن كليهما حرام ، ولكن المسكرات تفقد الإنسان وعيه ، والمخدرات تقتله لا محالة ..
- والحل يا فضيلة المفتى ؟
- تنفيذ أحكام الشريعة .. بإعدام كل من يزرعها أو يتاجر فيها ، أو يتعاطاها ، فهى إثم عظيم . ولا يمكن حماية المسلمين من شرها إلا إذا حكمنا بالإعدام على الزارع والتاجر والمدمن .

لقد أحسست أن التعامل بقسوة مع ثلاثى المخدرات : (الزارع — التاجر — المدمن) بمنتهى القسوة ، هو فى حد ذاته كل الرحمة بالمجتمع ، الذى نعيش فيه .. فالقسوة هنا رحمة .

أعود إلى قضية الشاب الموجود فى قسم الشرطة مع القتلة واللصوص وحثالة المجتمع .

هو ابن صديق ، والده كان كاتباً كبيراً فى مصر . وكان والده مؤمناً يخشى الله فيما يكتب . وكان قد سخر قلمه للدفاع عن المظلومين والمغلوبين على أمرهم . كان الوالد فخراً لأسرته .

ولكن مات الأب الكاتب بالسكتة القلبية .
وبعد شهور تزوجت والدته .. من رجل أحبها .
وتفرغت تماما للزوج الجديد ، ولعمله .
كان الزوج الجديد ثريا ثراء فاحشا ، وكان كريما جدا مع الصبي . ابن زوجته .
وكبر الصبي .. والتحق بالمعهد العالى للطيران .. وكما أعلم ، فهو تلميذ ذكى ، وأنه
شاب مستقيم ، كوالده ، يخشى الله فى كل تصرفاته .
إلى هنا ، كانت معلوماتى عن أسرة صديق قديم .

طلبنا من الضابط رؤية الشاب .. وأمر الضابط الحارس بإحضار الطالب الجامعى
المتهم .

وجاء الشاب ..
ولم أصدق أنه هو .. لقد تغير تماما .. أصبح نحيفا جدا ، شاحب اللون ، ممزق الثياب .
عليه آثار ضرب مبرح .
عندما شاهدنى وضع رأسه على صدره خجلا .
ما بكى كما كنت أتوقع ..
وسألته : ماذا حدث ؟ ..
فقال : الذى حدث .. كتبته فى المحضر ..

تخيلت من إجابته الاستفزازية أنه فى غيبوبة لا يعرفنى ، سألته من أنا ؟ .. فأجاب
إجابة غريبة قال :

— أنت الماضى الحلو .. أنت صديق والدى .. أنا لست فى غيبوبة .
ما فكرت لحظة أن أعاتبه ..

وقام الأستاذ محمد زين بركة المحامى ، ووضع يده على كتفه ، وبدأ يحاوره فيما حدث
منه ، ثم جاء موعد ذهابه إلى وكيل النائب العام ، فتركنا وذهب .

دخل المحامى معه ، وحضر تحقيق النيابة ، فإذا بهذا الشاب يعترف اعترافا كاملا بجريمته ، دون محاولة لإخفاء أى شئ، مما جعل مهمة الدفاع صعبة .

وتأكد المحامى أن وكيل النائب العام سوف يأمر بحبسه عدة أيام حتى يقدم إلى المحاكمة .. ولكن كانت مفاجأة لنا جميعا إذ أمر بالإفراج عنه من سرايا النيابة بضمان مالى كبير .

وقام المحامى وشكر وكيل النائب العام ..

فرد وكيل النائب العام :

— لا تشكرنى أنا .. اشكر والده .

— لقد توفى .

— طبعاً أعلم .

— لا أفهم .

— أنا من تلاميذ والده ، تعلمت من كتاباته الكثير .

أخذنا الشاب معنا بعد الإفراج عنه ، وذهبنا إلى والدته التى احتضنته كثيرا .. وهنا فقط .. رأيت دموع هذا الشاب لأول مرة .. وسألت الأم :

— ماذا حدث ؟

ونظر كل منا للآخر .. ولكنى جمعت شجاعتي .. وألقيت أمامها بكل ما حدث ، وسرعان ما تحولت هذه الأم الوديدة إلى وحش كاسر ، وقامت وضربت ابنها ضربا مبرحا ، وكان يردد جملة واحدة : « أنت السبب » ، وهى تكاد تقتله ضربا ، وقمت للحيلولة بين الأم وابنها ، إلا أنها سقطت مغمى عليها ، وجئنا لها بطبيب ، وكانت ليلة متعبة .

بعد أن هدأت ، قررنا علاجه فى أحد المستشفيات الموجودة فى حى « مدينة نصر » .

وكنت أزوره يوميا ، ولكنى لاحظت أنه لا يتحسن كثيرا .

وخلال زيارتى له حاولت أن أعرف لغز الجملة التى كان يردد لها لأمه عندما انهالت عليه ضربا :

— لماذا قلت لأمك : أنت السبب .
واليكم قصته .

كان يؤمن بما يكتبه والده ، وكان يؤكد لأقرانه أنه سوف يعمل بالصحافة حتى يشق طريقه كوالده ، ويدافع عن المظلومين ، ويسخر قلمه لقضايا المجتمع .
ولكن

عندما تزوجت أمه .. كان الزوج الجديد مختلفا تماما عن والده .. كان ثريا ووالده فقيرا ، وكان زوج أمه « إباحيا » فى علاقته مع أمه . فكان الولد يخجل من هذا ، فيخرج من البيت بعد تناوله الإفطار ، ويعود فى المساء فيجد زوج أمه وهو يشرب الخمر ، حتى أصبح وجود هذا الشراب فى البيت من الأمور العادية ، وكان والده يؤكد له أن هذا حرام .
وكانت أمه تعطيه ما يشاء من الأموال ، ليتناول الغداء فى الخارج والعشاء أيضا .
وكان لابد أن يبحث عن أصدقاء يقضى معهم هذا الوقت الطويل ، حتى يكون بعيدا أكثر الوقت عن المنزل ، ووجد صديقا يسكن وحده فى حى المعادى .
كم تمنى أن يكون له مسكن خاص به .. بل إنه عرض هذا الأمر على والدته ، فرفضت .
وطلبت منه أن يأتى بأصدقائه إلى البيت . ولكنه هو الذى رفض هذا الاقتراح . خوفا من أن يرى أحد الأصدقاء « مشهدا معيبا بين أمه وزوجها » .

قال لى وهو يضع يده على سبب المشكلة :

— لو أن أمى تزوجت برجل فى أخلاق والذى لما كنت هنا ، لو أن زوج أمى لم يتصرف فى المنزل هذه التصرفات لما كنت هنا ، لو أن زوج أمى لم يحضر زجاجات الخمر إلى البيت لما كنت هنا ، لو عاش أبى لما كنت هنا .

فى منزل صديقه تعرف على أصدقاء السوء .. مجموعة من ثلاثة مدمنين ، حاولوا فى البداية أن يضموه إليهم ، ولكنه رفض وقاوم بشدة ، ولكن بعد عدة أسابيع شعر بأنه غير مرغوب فى هذا البيت الذى يرى فيه مهربا من بيته .

✽ يقول :

— أعطونى إبرة .. فيها سائل غريب .. عرفت فيما بعد أنه ماء ممزوج بالهيروين .. رحلت

فى غيبوبة .. لا أعرف الزمن الذى أعيشه ، ولا الموقع ، لا أعرف السعادة ولا العذاب ، إنها ساعات انقطاع عن العالم بما فيه من خير وشر .. نسيت فى هذه الساعات كل مشاهد البيت بعد وفاة والدى .. وفى اليوم التالى ساهمت معهم فى لمن هذا السم الأبيض ، وبعد عدة أسابيع كنت أنا الذى أشتريه من التجار على نفقتى بالكامل ، فلقد كانت أمى هى التى تغدق على .

— هل تعرف نهاية مدمن الهيروين ؟

— فى البداية لم أكن أعلم ، ولكنى علمت بعد ذلك أنه انتحار بطيء ، وأنه موت لا محالة ، أو الجنون .

— ولماذا لم تتوقف ؟

— كان الأمر قد استفحل ، ولم أعد قادرا على التوقف ، وفى نفس الوقت « سبب » الهروب مازال فى بيتى .

كان والده قدوة .. فقد القدوة .

حاول أن يعيش على ذكرى مبادئ والده السامية ، ولكن جاء زوج أمه بمبادئه الرديئة يطرد من البيت كل المبادئ السامية .

عاش الشاب عدة أسابيع طويلة بالمستشفى ، أنفقت عليه الأم عدة آلاف من الجنيهات ، وخرج وهى مطمئنة الى أن ابنها قد شفى تماما .

لم يعد الولد فى حاجة إلى جرعة الموت .

وعاشت الأم سعيدة ، بأنها قد ساعدت ابنها على الشفاء ، حيث كانت تبقى معه فى المستشفى عدة ساعات يوميا ، وأنفقت عليه بسخاء شديد .

كنت ألتقى بالشاب من حين لآخر . ولكن لم أجد تغيرا جذريا على وجهه .

وبعد جهد اعترف الشاب ، أنه كان يتناول نفس الجرعات التى يحتاج إليها داخل المستشفى . كان « التمرجى » يتسلل كل ليلة بالأبرة ويعطيها له نظير مبلغ مضاعف عن السعر خارج المستشفى ، وأنه خرج من المستشفى أكثر إيمانا .

– وما الحل يا بنى ؟ ..

– أعيش ، أو أموت بعيدا جدا ، فى واحة تحيطها الصحراء المنيعه من كل جانب ، لا يوجد فيها تاجر مخدرات ، ولا صديق من أصدقاء السوء ، ولا زوج أم .
ويا للكارثة ! .. مستشفيات معالجة الإدمان ، تتحول فى الليل إلى أوكار للمخدرات .

مرت الأيام سريعة ..

وجاء موعد المحاكمة ..

وذهبنا .. المحامى محمد زين بركة .. والأم .. وأنا ..

ودخل الشاب قفص الاتهام .

وبدأت المحاكمة ..

وأصدر القاضى حكما بحبس الشاب ثلاث سنوات كاملة .

كل ما قاله الشاب بعد سماعه الحكم :

– ضاع مستقبلى .

وصرخت الأم .. وقالت لجمهور المحكمة .. كل ما بذلته من أجله .. والمستشفى الذى ذهب إليه .. صرخت الأم فى المحكمة وهى تنادى على وحيدها ..

وقاده الحرس إلى « سيارات الترحيل » وتم ترحيله الى السجن .. ولا أدري تماما ، هل بدأ مستقبله فى السجن ، حيث لا مخدرات ولا هيروين .. أم أن هناك – كما فى المستشفيات – هذا السم القاتل .

انتهت مراسم ترحيل الشاب إلى السجن ، وسط صراخ الأم ، فهو وحيدها ومستقبلها ، ونظرت إلى وكلها دموع :

– هل قصرت فى حق ابنى ؟ .. هل أنا السبب كما يقول ؟

وهنا .. ثرت على الأم .. وطلبت منها بالفاظ قاسية أن تخلع النظارة السوداء التى لا ترى الواقع بألوانه الطبيعية ، فهى ترى الحياة كما تحب أن تراها ، لا كما هى فى الواقع ..

وشرحت لها كل ما قاله ابنها .

شرحت لها الجملة الغامضة التى لم تحاول أن تعرف إجابتها ، أخبرتها بما حدث له فى المستشفى . شرحت لها موقفه من سلوك زوجها فى البيت ، لم أترك صغيرة أو كبيرة إلا وأخبرتها بها .

مرعام واحد على دخول الشاب إلى السجن ، ولا أدري على وجه التحديد ماذا حدث له فى السجن ؟ .. هل شفى من المرض اللعين ؟ .. هل يجد تلك الجرعات القاتلة داخل أسوار السجن ؟ .

ولكن أدعو الله لهذا الشاب بالشفاء .. فهو لا يستحق الموت ، فلقد كان مشروعا للشاب عظيم يخدم أمته ، ولكن كان هذا السم القاتل الذى ألقى به فى السجن ، وربما يلقى به - بعد ذلك - فى القبر .

(٥)

جلس رجل الأعمال فى شرفة فندق الأوراس المطل على البحر المتوسط ، بمدينة الجزائر يرقب فى عمق شديد حركة السحب التى أمامه تماماً ، كان المشهد من وجهة نظره تراجيدياً ، فهو يكره الغيوم والسحب التى تحجب الشمس ، وعندما لا تسطع الشمس تغيب الحقيقة ، وإذا غابت الحقيقة عشنا فى زيف ، والحياة فى الزيف كارثة محققة ، وأحس الرجل بضيق شديد لهذا التفسير المأساوى ، ولكنها كانت فرصة لالتقاط الأنفاس .. إنه كهذه السحب ، لم يتوقف أبداً ، وضع لنفسه طريقاً طويلاً بلا استراحات ، وسار فيه باندفاع بحثاً عن المال الحلال والصفقات فى كل أنحاء العالم ، حتى أصبح مليونيراً ورجل أعمال ناجحاً ، هو يذكر جيداً أن الليالى التى قضاها من عمره فى فنادق العالم أضعاف الليالى التى قضاها فى بيته .

عاد الرجل إلى غرفته فى الفندق .. ولم يتوقف عن التفكير فى حياته . إنها المرة الأولى التى يتوقف فيها ويفكر فى غير المال والصفقات . ونظر إلى المرأة ودهش من صورته وكأنه ينظر إلى المرأة لأول مرة فى حياته . وبدأ يتساءل :

— ما هذا ؟ من جاء بهذا الشعر الأبيض إلى رأسى ؟ ومتى جاء ؟ .. ما هذه التجاعيد التى ملأت وجهى ؟ .. من أدخل أظنان الدهن إلى جسدى ؟ .. من سرق منى الرشاقة والشباب والحماس ؟ .. إنها الأيام .. ولاشئ غيرها ، ولكن لماذا اليوم بالذات ؟ .. هى لحظة لاكتشاف عبور مرحلة من العمر ، واقتحام مرحلة أخرى ، ومرحلة العمر قليلة .. اذن .. أنت فى مرحلة ما قبل النهاية بلحظات ، فهل أنجزت شيئاً يذكر ؟ .. خلال هذه المسيرة .. نعم .. أنجزت كل شئ ، لم أضيع وقتاً ، جمعت ثروة .. جعلتنى مركز قوة

واحترام .. ولى أسرة سعيدة زوجة جميلة صغيرة وابن يمكن أن يأخذ بالشعلة منى ويتركنى أستريح .. أه .. صأصحب زوجتى لأول مرة فى رحلة حول العالم قد تستغرق عدة أعوام ، لا يهم ، المال وفير والعالم متسع .

وأخذ الرجل - رجل الأعمال - يتذكر فى أى سنة دراسية يكون ابنه ، هل هو فى نهائى هندسة ، أم فى السنة الثالثة ، ولكنه كان متأكداً أن ابنه فى كلية الهندسة .. أما العام الدراسى فهو لا يستطيع أن يحدده بدقة .. لا شىء يهم ، بعد ساعات سيذهب إلى المطار ، ويلتقى بابنه ، ويعرف منه كل شىء ويعرض عليه إدارة شركاته وأعماله ، ويترك الكلية ، أم يواصل هو ولكن بشكل مختلف عن السابق حتى يتخرج ابنه ، ويتسلم الشعلة منه ..

وأثناء هذه الأحلام .. دق جرس التليفون فى غرفته ، وكانت المكاملة من القاهرة ، والمتحدث على غير العادة شقيقه .

- أحضر فوراً .. زوجتك تحتضر .
- لم تكن مريضة .
- حادثة سيارة .
- انقلها فوراً بالطائرة إلى أوروبا .. أريدها تعيش .
- الأطباء هنا .. كأطباء أوروبا .. المهم لا تتأخر .
- أول طائرة بعد ساعات .

وبكى رجل الأعمال .. سقطت الدموع لأول مرة من عينيه ، فلقد تبخرت آماله فى لحظة .. ولكن زوجته سوف تعيش ، سيضع كل ثروته فى مقابل أن تعيش ، وبدأ يستعد لرحلة العودة .

فى مطار القاهرة ، كان شقيقه الأكبر فى انتظاره ، لم يكن قد رآه منذ سنوات ، فلقد كان مشغولاً حتى عن زيارته لشقيقه الوحيد .

- كيف حال زوجتى ؟
- تماسك .. لقد ماتت .. ماتت متأثرة بجراحها
- وبكى .. بكى طويلاً .. ووسط الدموع .. سأله شقيقه :
- وكيف كانت الحادثة ؟
- فظيعة .. لقد ماتت فى الحال .
- وأين هى ؟

- فى المشرحة .
- مشرحة !
- نعم .. والجنائز غداً .. كان يمكن دفنها اليوم ، ولكن قمت بتأجيلها حتى تكون من بين مودعيها .
- وأين ابنى ؟
- لم يتمكن من الحضور .
- حزين عليها ؟
- طبعاً ..

وسأد صمت رهيب .. رجل الأعمال شارد ، فى ماضيه شريط طويل من الذكريات معها ، كانت فى العشرين من عمرها عندما رآها لأول مرة منذ خمسة وعشرين عاماً ، وكان هو يقترب من الأربعين ، وكان رجل أعمال قد شق طريقه ويقف على أعتاب الانطلاق فى دنيا المال والصفقات والنجاح ، وهى طول هذا العمر لم يكن لها مطالب تذكر ، ولم تسأله يوماً — كأتى زوجة — لماذا تأخرت ؟ .. ولم يشعر يوماً أن لها حقوقاً ، كانت معه كالنسيم ، دائماً فى انتظار عودته .

وكان شقيقه يفكر فى طريقة ما لتسريب القصة أو المأساة كاملة إليه . وعند مفترق الطرق ، اتجه شقيقه بالسيارة فى اتجاه غير اتجاه بيت أو قصر رجل الأعمال .

- إلى أين ؟
- إلى بيتى أولاً .
- لماذا ؟
- لنفحدث ..
- هل تخفى شيئاً ؟
- لا .. ولكن أرجوك .. أرجوك لا تعارضنى .
- وبكى الشقيق .

كان شقيق رجل الأعمال يعمل مدرساً بسيطاً ، ويعيش على راتبه البسيط ، ولم يفكر رجل الأعمال فى يوم من الأيام تقديم أى مساعدة له ، ربما خوفاً من أن يرفض المساعدة ، ربما لأن المساعدة كانت رأس مال يدور ، وبعد عام أو عامين يمكن أن يتضاعف .. هو نادى

على هذا الموقف .. وخاصة عندما دخل هذا البيت المتواضع ، فهو لم يعتد منذ سنوات دخول بيوت متواضعة .

قابلته زوجة شقيقه وهى ترتدى السواد وتبكى بشدة .. وكذلك أبناء شقيقه الثلاثة ، وقدموا له عزاء صادقاً من أعماق قلوبهم :

ودخل الشقيقان فى غرفة الصالون ، وأغلق عليهما الباب .

— أشعر أن هناك أمراً أعظم من الموت .

قالها رجل الأعمال ، وهو يدعو ألا يكون هذه المرة صادق الحس .

وبدأ الشقيق يتحدث :

— نحن الآن فى موقف لا نحسد عليه ، والأمر يحتاج منا إلى رباطة جأش ، وحسن تصرف ، وأعصاب قوية .

حاول أن يقاطعه وهو يسترسل فى الرواية .. ولكن شقيقه طلب منه الهدوء .

المأساة قاسية .. لا تصدق .

لقد اتصل بى ضابط الشرطة فى القسم .. وطلب منى الحضور فوراً .. وحاولت أن أعرف منه السبب فلم أعرفه .. وذهبت .. فوجدت ابنك ممزق الثياب ملابسه عليها بقع من الدماء .. وفى حالة ذهول .. ويجلس على الأرض فى غرفة الضابط .. وكاد قلبى يتوقف ..

— خسرت ابنى أيضاً .

— انتظر .. أرجوك ..

وعاد الشقيق يروى :

— وسألت .. ماذا جرى ؟ .. ونظر إلى ابنك ، ثم نهض ، وارتقى على صدرى ، وظل يبكى ، وتركته يبكى ، ويبكى .. وأنا فى حالة ذهول .. وسألته .. ماذا فعلت ؟ فبكى .. فقط .. بكى .. سألته مرة أخرى .. وثالثة .. ورابعة .. ولكنه ظل يبكى .. والضابط صامت .. وكأنه يريد أن يعرف هو الآخر .. ماذا جرى ؟ .. ثم سألت الضابط فقال لى جملة .. سقطت بعدها فاقد الوعى :

— البية المدمن .. قتل أمه !

وصرخ رجل الأعمال وهو يستمع إلى شقيقه من أعماق قلبه .. وقال بكلمات صادرة من قلب مكسور :

— آه .. لقد انتهت حياتى ..
ودخلت الزوجة .. زوجة شقيقه .. تحمل ماء مسكراً .. وألحت فى ضرورة تناوله ..
وتناوله وهو لا يدرى ماذا شرب ؟ .

وبدأ يستمع إلى المأساة .. إن ابنه الوحيد ، طعن أمه بسكين المطبخ ، حتى ماتت ..
ثم ذهب إلى قسم الشرطة .. وقال جملتين فقط :

— أنا فلان ابن فلان .. قتلت أمى بهذا السكين ! ..

ورفض أن يضيف إلى هذا القول شيئاً ، كما رفض الإجابة على أى سؤال .. وفتشوه
فوجدوا معه ما يطلقون عليه « تذكرة هيروين » ، أى كمية ضئيلة من الهيروين ، وأمرت
النيابة بتشريح الجثة ، ثم صرحت بدفنها .. هذه هى المأساة ..

— لماذا قتلها ؟

— لا أحد حتى الآن يعرف .

انتهت مراسم الجنازة ، وودع الرجل زوجته حتى القبر ، وخلال ذلك فشلت الصحافة
والشرطة والنيابة فى معرفة الدافع لهذه الجريمة التى فاقت كل حد .. وهزت مصر كلها من
الأعماق ، إحدى الصحف اقتربت من دوافع الجريمة .. وهى تقول نقلاً عن الدكتور عادل
الدمرداش فى كتابه : « الإدمان مظاهره وعلاجه » .

قالت الصحيفة :

— إن الدكتور الدمرداش قد قال إن استعمال الهيروين ينتشر بين المراهقين والشباب
الذين يتعاطونه من باب التجربة أو التسلية أو مجاراة الرفاق ثم يدمنون عليه فيما بعد .
والهيروين من المخدرات التى تسبب الإدمان بسرعة ، إذ يؤدى تعاطيه المنتظم لمدة
أسبوع واحد فقط إلى الإدمان .

يقول د . دمرداش إن مضاعفات الإدمان هى فقدان الشهية والهزال والضعف الجنسى
واضطراب العادة الشهرية عند النساء وتقيح الجلد وتسمم الدم .. والتهاب الكبد ، وغشاء
القلب المبطن ، والإصابة بالزهري والأمراض المعدية الأخرى كذلك التسمم والوفاة والانتحار
وحوادث السير والطرق وارتكاب جرائم السرقة للحصول على النقود اللازمة لشراء المخدر ،
وامتهان الدعارة بين الفتيات وإصابة ٩٠٪ من الحوامل المدمنات على الهيروين وولادتهن

قبل اتمام الحمل واصابة الموالد بنقص الوزن وضعف المناعة وفاتهم بعد الولادة بنسبة

تتراوح ما بين ٣٠ إلى ٩٠ فى المائة ، اذا لم يعالجوا فوراً .. وتدهور المستوى الدراسى بين الطلبة المدمنين والكسل والإهمال والغش من أجل الحصول على المخدر ، وتدنى الكفاءة والإنتاج والانتزاع عن الآخرين والاختلاط فقط بالمدمنين .

وبعد أن سردت الصحيفة رأى أحد المختصين وهو الدكتور الدمرداش بدأت تحلل الجريمة ، فقالت :

— كل العلماء أكدوا أن الهيروين يدفع على الجريمة ، كما أن كل العلماء أكدوا أن الهيروين يفقد الإنسان المدمن كل قيمة وكل مبدأ ، ويصبح شخصاً بلا قيم ولا مبادئ ، وهذا الشاب الذى يرفض أن يتحدث هو بلا شك مدمن هيروين .. حيث عثر معه على كمية ضئيلة منه ، وكان فى حاجة إلى مال ، فطلبه من والدته الثرية ، زوجة المليونيير ، فرفضت فهددها باستخدام السكين الذى أسرع وجاء به من المطبخ ، فلم تتصور وهى الأم أن يرفع ابنها السكين عليها ويغرزها فى جسدها .. فأصرت على الرفض ، فنفذ تهديده ، وقتل أمه ، وعندما سلم نفسه إلى الشرطة كان فى حالة وعى كامل من هول المأساة ، فشعر بالندم ، ولكن فى وقت لم يعد ينفع فيه أى ندم ، فسكت انتظاراً لحبل المشنقة ، هذا تصورنا للحادث الذى هز المجتمع ، وكثرت تفسيراته أمام صمت الشاب القاتل ، الذى فصل من عام من كلية الهندسة التى كان يدرس بها ، حيث عاش أسير الهيروين .. ولا يرى فى الحياة أهم منه ..

قرأ رجل الأعمال فى الصباح هذه المقالة قبل أن يذهب إلى ابنه .. وسأل نفسه : — أين كنت يا رجل الأعمال والإنجازات .. ابنك كان مفصولاً من الكلية وأنت لا تدري .. ابنك أدمن الهيروين وأنت لا تدري .. هل هذه الأموال التى جمعتها تستحق ما أنت فيه ؟ ليتها تضيع كلها وتعود لى أسرته ..

ولم يعرف إجابات كثيرة على أسئلة كثيرة .. تداعت وتزاحمت وتجمدت أمامه .. إلا أن سؤالاً واحداً كان يعرف جيداً الإجابة عليه : هو المسئول الأول عن هذه الجريمة .. كان يكفى مال أقل .. واهتمام أكثر بأسرته .. أه ! أسكره النجاح فى الصفقات .. فأدمن حب المال هو الآخر .. فجاء المال وضاعت الأسرة .

كان لقاء مؤثراً .. بين الوالد وابنه .. بعد أن أغلق الحارس الباب عليهما .. ساد صمت .. كلاهما لا يعرف كيف يبدأ .. ولكن الابن سأل والده :

– متى وصلت من الخارج ؟

– أمس الأول .

– ومتى سترحل ؟

– ربما بعد هذا اللقاء .

– إلى أين ؟

– إلى أمك .

وعاد الصمت من جديد .. واستمر فترة طويلة من الزمن .. ولكن الشاب ارتدى فى أحضان أبيه .

– أبى .. أرجوك .. ضمنى إلى صدرك .. بشدة أكثر .. احتاج إلى هذا .. محروم منه .. ما أقسى الحياة الباردة .. أسف .. لم أكن فى وعى .. عاد لى الوعى بعد أن انتهى كل شيء .. عندما خرجت نافورة الدم الأولى من جسد أمى .. أصبت بالرعب والفرع .. ووجدتني أغرز فيها السكين أكثر من مرة .. لم تكن تستحق هذا .. أبداً لم تكن تستحق هذا .. دعنى لأبكى على صدرك فلم أكن أعرف الدموع .. لا تتخل عني .. لا تتركني وحدي بعد اليوم .. وظل الشاب دقائق طويلة على صدر أبيه .. والرجل لا يدرى ماذا يقول .. هل يتعاطف مع ابنه الذى قتل شريكة حياته .. والتي هى أمه ؟ .. لقد أحدث هذا الموقف خللاً فى مشاعره .. بل زلزالاً فى هذه المشاعر .

بدأ الشاب يروى لوالده :

– لقد عرفت منذ عامين الهيروين للتسلية والجنس ، ولم يعد يسلينى بل يصيبنى بالاكنتئاب ، ولم يعد – بعد إدمانه – أى قلبلية للجنس كانوا مجموعة معى ، منهم من ترك عمله ومنهم من ترك جامعته .. وعشنا للهيروين ، وقتل فينا الهيروين كل شيء : الطموح والخلق ، ودفعنا جميعاً إلى الجريمة ، سرقنا ، كم سرقت من أمى ؟ .. وكم هى اتهمت الشغالة ، وكم دفعتنى الحاجة إلى اختراع القصص والنوادر ، حتى أحصل منها على مال يكفى ما نحتاجه من هيروين ، ثم اكتشفت أمى أننى أتعاطى هيروين ، وهددتني بأنها سوف تبلغك اذ لم أتوقف ، ولم يكن لدى الرغبة فى التوقف ، ادعيت أننى توقفت ، ولكن كل تصرفاتى تفضحنى .. زادت حاجتى أيضاً للمال والذى بدأت تمنعه عني بقسوة ، وطلبت منى أن أدخل إحدى المصحات للعلاج ، إلا أننى رفضت ، وألحت ، وكنت وقحاً فى رفضى .. لقد حاصرتنى البودرة .

– ثم ماذا ؟

– وسكت الشاب .. وأعاد الوالد السؤال :

– ثم ماذا ؟

ويندم شديد ، وتحمل أشد ، قال .. حتى كان يوم الجريمة .. كنت فى حاجة ماسة إلى مال لأشتري هيروين لى ولأصدقائى .. وطلبت منها ألف جنيه ، وأخبرتها أننى صدمت سيارة بسيارتى ، ولكنها رفضت .. وإذا بالحاجة إلى الهيروين تدفع إلى رأسى بفكرة جنونية .. هددتها بأنها إذا لم تدفع لى الألف جنيه .. فسأخبرك بأنها على علاقة برجل .. فصفعتنى .. وبصقت فى وجهى .. واذ بهذه الفكرة الجنونية الكاذبة .. تتحول إلى شبه واقع أمامى . وأن أمى – حقاً – على علاقة برجل آخر غيرك .

هكذا صور لى الهيروين الوهم حقيقة .. وتضخمت الأمور أمامى .. وتصورت ما يحدث بين عشيق وعشيقة .. والعشيقة هنا أمى .. ومرأى عيني شريط من الوهم وكأنه الواقع .. إذن هذه المرأة التى هى أمى يجب أن تموت .. وأسرعت إلى المطبخ .. وجئت بالسكين .. وطلبت الألف جنيه من هذه الخائنة .. فرفضت .. فكانت الجريمة البشعة .. وماتت أشرف امرأة فى الوجود .

وما إن انتهى الشاب من سرد روايته إلى والده ، إذ بأبيه يخرج من الغرفة دون وداع ، ويغلق الحارس الباب على المتهم بقتل أمه .. ووجد الابن نفسه مرة أخرى وحيداً .. نادى على والده .. فلم يرد .. ثم نادى مرة .. ومرة .. ومرة ..

– أنت السبب .. أنت السبب .

وظل الشاب المدمن يقول إن والده هو السبب ، وهو الذى دفعه إلى كل هذا لعدم رعايته له .

الشاب لم يقدم للمحاكمة .. لقد فقد البقية الباقية من عقله ، وتم إيداعه مستشفى الأمراض العقلية ، وهو يقول لمن يقابله :

– أنت السبب .. وأمى أشرف امرأة فى الدنيا .. أمى أشرف امرأة فى الدنيا ..

فى حى الدقى ، يوجد مسجد فى ميدانه ، عندما تدخله لتأدية الصلاة ، ستجد بداخله

رجلا يرتدى جلباباً أبيض ، ويضع أمامه كتاب الله يقرأ فيه ، وعندما ينتهى من تلاوة سورة ، يتجه إلى الله بكلتا يديه :

– اللهم اغفر لى .. وسامحنى يارب العالمين ..

هذا الرجل هو نفسه رجل الأعمال ، الذى تبرع بكل ما يملك لإدارة مكافحة المخدرات ، وأخذ من بيت الله مكاناً كى يرحمه ..

وعندما تؤدى الصلاة بجواره ، سيفاحك بحرارة ، ويطلب بلطف وأدب أن تعطيه من وقتك القليل ، وسوف يروى لك هذه القصة بكل تفاصيلها ، وعن زيارته الأخيرة لابنه فى مستشفى الأمراض العقلية ، سيكى كثيراً ، وهو يسرد لك القصة ، ثم سيطرح عليك سؤالاً محيراً يريد منك إجابة محددة عليه :

– من المسئول عن كل هذا ؟ .. هل هو لانشغاله عن أسرته .. هل الحكومة لأنها لا تعدم تجار المخدرات ، هل ابنه الذى لم يتمكن من مقاومة التجربة الأولى لشمة هيروين ؟ .. هل زوجته الطيبة التى رأت أن علاج ابنها فى منع المال عنه ؟ .. من المسئول ؟

ولكى تخفف من آلامه .. عليك أن تقول له : إن المسئول عن هذه المأساة هو ذلك الوضع المادى القاسى ..

(٦)

أنا طبيب عربى .. أقضى فى أحد سجون القاهرة فترة عقوبة . تمتد إلى أكثر من سبع سنوات . قضيت منها حتى الآن عامين بتهمة حيازة المخدرات . وقد لا يعلمون فى السجن أننى كم فكرت فى الهرب خارج الأسوار بحثاً عن عقار الهلوسة الذى لم أجده فى السجن ويحتاج له جسدى . لولا حادث هام :

ذات يوم جاء خطيب المسجد ، ليلقى على المساجين خطبة الجمعة . وأنا أعرف سلفاً ما سوف يقول ، فهو يتحدث عن التوبة ، والعقاب والنار والحرام . ليس جديداً على مسامعى ما سوف يقوله خطيب المسجد الجديد ، كل الخطب فى السجون متشابهة . ولكن ..

الرجل مختلف تماماً ، سواء فى طريقة الإلقاء ، أو فهمه للقرآن الكريم .. لقد تحدث الرجل عن القوة التى وهبها الله للإنسان ، والقدرة على التحدى الكامنة فى جسده . تحدث عن صبر أيوب ، إصرار موسى ، وعطاء عيسى . تحدث الرجل عن عطاء الإنسان للبشرية وقدرته على ذلك .. تحدث الرجل عن الاكتشافات والاختراعات عندما استنفر الإنسان قوة التحدى التى وهبها الله له .

تذكرت طفولتى ، عندما عبربى والدى العجوز جسر الحسين الذى يفصل الضفة الغربية عن الشرقية ، وصرت لاجئاً .. كان ذلك عام ١٩٦٧ ، وكنت فى ذلك الوقت أبلغ من العمر أربعة عشر عاماً .

أنا .. ووالدى تحت سقف خيمة مع عشرات من اللاجئين فى أغوار الأردن . نشارك

سكان الحميم كسره الحبر الواحد، كان أمل والذى العجور كبيراً في العوده إلى البيت والبيارة خلف النهر .. وكان كلما فقد الأمل يردد : لماذا خرجت ؟ .. هنا ساموت ، وهناك ساموت ، ولكنى أفضل الموت فى دارى . كان والذى يقول لى :

— إذا عدت .. فلا تترك دارك أبداً .. دعهم يقتلونك داخلها .. ولا تتركها أبداً .

ومات والذى حسرة على البيت والبيارة .

وكان على أن أواجه الحياة وحدى مبكراً .

استنفرت قوى التحدى فى داخل جسدى الصغير والنحيف .

قررت ترك مخيم الأغوار والاتجاه إلى عمان .

وفى عمان ، كنت أجد لى مكاناً أبيت فيه خلصة فى مخيم الوحدات وتحت سفح أحد جبال العاصمة الأردنية .

قررت تحدى الظروف ، والصمود أمام كونى طفلاً يتيماً لاجئاً غريباً مرفوضاً من المجتمع البشرى ، ولكن كيف التحدى ؟ .

وضعت هدفاً استراتيجياً فى حياتى ، أن أتحدث لغة عالمية ، لغة مقبولة فى أية بقعة من بقاع العالم . وجدت هذه اللغة فى أمرين لا ثالث لهما : المال أو العلم الرفيع ، وراهننت على الاختيار الثانى .

وبدأت رحلة التحدى ..

أستيقظ قبل شروق الشمس ، أؤدى صلاة الفجر فى المسجد ، ثم أذهب إلى جبل عمان ، حيث الطبقة الارستقراطية ، وأبحث فى القمامة عن الزجاجات الفارغة ، وأعود إلى مخيم الوحدات ، أنظف تلك الزجاجات تنظيفاً جيداً ، وأذهب بها إلى الأسواق الشعبية .. كنت أبيع يومياً كل ما عندى .. وكان عندى مائة زجاجة فارغة فى اليوم ، كانت حصيلة البيع تكفى لدراستى وشراء ما أحتاج إليه من كتب ، وما تبقى أشتري به غذاء بسيطاً ، وأحياناً بعض الملابس المستعملة .

فكرت فى الجامعة ، وفى كلية الطب بالذباب قبل أن أصل إلى الثانوية العامة ، وجدت أن مصروفاتها كبيرة ، ولن أملك ادخارها ، فكتبت إلى ياسر عرفات رسالة أشرح فيها كل ظروفى ، وجاء الرد الذى أسعدنى :

— « أكمل دراستك الثانوية ، ولا تحمل هما بعد ذلك » .

وشعرت أننى أمسك الجامعة بيدي ، وأننى طالب فى كلية الطب بالجامعة الأردنية ، ودفعتنى هذه الرسالة ، إلى توسيع تجارتى لادخار بعض المال الذى ينفعنى فى دراستى الجامعية ، فلن يسمح وقتى بالدراسة والتجارة معاً .

وعلى مدى السنوات القليلة ، حصلت على الثانوية العامة ، وخمسائة دينار أردنى ، وكتبت مرة أخرى إلى عرفات مع صورة من خطابه السابق .

وجاء الرد .. لك مكان فى كلية طب القاهرة .

وحزمت حقيبتى الصغيرة .. وطررت من عمان إلى القاهرة .

كنت أتصور — فى البداية — أننى عشت فى القاهرة ورأيتها من خلال روايات نجيب محفوظ ، ومسرحيات توفيق الحكيم ، ويوسف إدريس ، ومحمد حسين هيكل ، وتلك الأفلام السينمائية .

ولكن القاهرة التى أراها اليوم شىء مخيف .. ملايين تملأ الشوارع .. زحام من كل الجنسيات .. ثراء وفقير .. قصور وأكوخ .. نهر عظيم ومستنقعات ، وجو حرب يخيم على المدينة .

سكنت القاهرة ، وسكنتنى ، أحببت هذه المدينة بجمالها وقسوتها ، بثرائها وفقرها ، بسهراتها البريئة ، بمساجدها المزدهمة ليل نهار ، بندوات مثقفيتها ، ببساطة أهلها ، وأصبحت هذه المدينة جزءاً منى وأنا جزءاً منها .. وقررت الإقامة بها حتى القبر .. اخترتها وطناً لى بدلاً من وطنى السليب .

كافحت من جديد أثناء الدراسة وبشكل مختلف .

كان تعليمى فى طب القاهرة منحة مجانية من بين آلاف المنح التى كانت تعطيها حكومة مصر لشباب وطنى ، وكان على أن أدبر مصروفاتى الخاصة ، مكتب المنظمة يتكفل بجزء .. وأنا أسافر عمان أشتري بعض الملابس وأبيعها فى القاهرة ، فتكفينى .

وهكذا .. التهمت مئات الكتب خارج الكلية .. والتهمت كل كتب الكلية وأصبحت طبيباً .

رغم فائض العمالة المصرية ، فإن هناك قانونا يتيح لى العمل فى مصر ، وعملت طبيبا فى مصر ، وتعرفت على فتاة فاضلة من قطاع غزة ، والدها يعمل تاجرا مشهورا فى القاهرة ، وتقدمت إليها .. وتزوجتها .

لم تقف طموحاتى عند هذا الحد .. أريد الحصول على الدكتوراه فى الطب من الولايات المتحدة الأمريكية .. وهذه تحتاج لأموال لا يسعفنى دخلى المحدود فى القاهرة بتوفيرها .. بحثت عن عقد عمل فى دول الخليج ، حيث المرتب وفير بالعملة الصعبة ، فلم أجد . قمت بمغامرة غربية ، أخذت أوراقى التى تثبت أننى طبيب ، وعضويتى فى نقابة أطباء مصر ، ورحلت إلى الأردن ، وهناك التقيت بزعماء تسفير العمالة إلى الخليج بطرق غير شرعية .. واتفقنا على الرحيل فى سيارة ثلاجة ، ركبت بجوار السائق .. وعند نقطة الحدود ، ارتديت المعاطف الثقيلة ، واختفيت فى الثلاجة خلف الخضروات المصدرة .. كدت أموت خلال عبور نقطة الحدود .. وعندما عبرنا النقطة ، توقف السائق ، وفتح باب الثلاجة ، وخرجت سعيدا بحرارة الجو والنجاة من الموت وأمل العمل فى هذه الدولة الخليجية .. بمساعدة مكتب المنظمة ، وجدت عملا ، وراتبا ، وجئت بأسرتى ، وعشنا عامين فى هذه الدولة الكريمة ، وأصبح معى ما يكفى لإقامتى فى الولايات المتحدة للحصول على الدكتوراه فى الطب .

عادت زوجتى ورضيعها إلى القاهرة للإقامة مع والدها مدة دراستى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وطرت فى نفس اليوم إلى نيويورك ، حيث كانت جامعتى .. نيويورك مدينة بلا قلب ، فيها سرعة العصر وقسوته .. تلعب بالملايين وتترك الملايين بلا عشاء .. مدينة شعارها : كم معك ؟ ، كم تساوى ؟ .

لست فى حاجة إلى دفء ولا عواطف فى هذه المدينة .. كل ما أحتاجه عمل شاق حتى أحصل على الدكتوراه وأعود فى أسرع وقت ممكن .. لذلك كنت أنام قليلا وأستذكر دروسى كثيرا ، ولا أعرف اللهو .

وذات يوم أصابنى أرق شديد ، ولم أنم . وذهبت إلى الجامعة مرهقا .. شكوت حالتى لصديقى الأمريكى .. فأعطانى حبوبا بيضاء مهدئة ، وعندما عدت إلى غرفتى تناولت حبتين .. بعد دقائق ، شعرت بسعادة وهدوء ، ونسيت كل شئ ، التفكير فى زوجتى وابنى الرضيع ، ورحت فى نوم عميق .

وفى الصباح ، قمت من النوم بصعوبة ، وذهبت إلى الجامعة ، وتمكنت من استعادة نشاطى . وعدت إلى الغرفة .. استذكرت دروسى ، حاولت أن أنام فلم أتمكن ، فأخذت حبتين .. وهكذا حتى انتهت الحبوب .. وفى الجامعة سألت صديقى عن اسم هذه الحبوب لأشتريها من الصيدلية ، فقال لى :

— إل . إس . دى .

لست كيميائيا ، ولكنى طبيب ، وأعلم أن هذه الأنواع من الحبوب تندرج تحت أصناف المخدرات .

وعدت إلى الكتب لأعرف تأثيرها ..

فوجدت الآتى :

وهى مستحضر سام من نبات « الشيلم » ، الذى يشبه إلى حد كبير القمح ، ومن هذا النبات يستحضر كيميائيا حمض « الليزر جيك » ومنه يأتى سائل « إل . إس . دى » ، ثم يتحول السائل إلى تلك الحبوب ، والتي يطلق عليها حبوب الهلوسة ..

وأن سبب بلاء العالم بهذه الحبوب هو عالم كيمائى ألمانى مشهور اسمه هوفمان ، حيث قام بدراسة « إل . إس . دى » على نفسه عام ١٩٤٣ .. وكان يعود من معمله إلى منزله مرهق الأعصاب ، فيعطى نفسه حقنة من هذا السائل ، فيشعر بالسعادة ويذهب فى نوم عميق .. وقد عرض هذا العالم اكتشافه على الزعيم النازى هتلر ، وكان يريد هتلر أن يغرق الدول الأوروبية المحتلة بهذا السائل إلا أن هتلر قد مات قبل القيام بهذه التجربة للعين .

وهذا السائل للعين ، يصيب الإنسان بالهلوسة ، قد يضحك الإنسان بلا سبب ، ثم يصبح غير قادر على الإدراك ، ويرى أمامه أشياء غير حقيقية ، ويرى الأشياء الحقيقية ضخمة ، ذات ألوان زاهية ، ويرى الأشياء الثابتة تتحرك .

قد يرى — مثلا — حائط الغرفة التى يقيم فيها يتحرك ويتجه إليه ، حتى إن أحد الأمريكيين الذى أخذ حقنة من هذا السائل ، وكان يجلس مع أصدقائه ، أخبرهم بأن حائط الغرفة يتحرك فى اتجاهه ، ولم يكن أمامه إلا أن يلقي بنفسه من الشرفة من الدور الرابع والعشرين فسقط قتيلا . يرى المدمن لعقار الهلوسة أن بعض أجزاء جسمه تتحرك بعيداً عنه ، قد يموت من الرعب عندما يرى أسنانه أمامه .. أو يرى عيناً من عينيه خرجت من رأسه واتجهت يمينا ، والأخرى يسارا .

وفى النهاية إن لم يتوقف المدمن عن هذا العقار ، فإنه إما أن يبتحر أو يموت .

شعرت بالرعب بعد هذه المعرفة ، وعدت إلى غرفتي أحاول أن أنام فلم أتمكن ، لم

أشعر برغبة ، أية رغبة فى تناول هذا العقار ، ذهبت فى اليوم التالى إلى الجامعة دون نوم ، ولم أتمكن من متابعة تجاربى ، فعدت مبكرا إلى غرفتى ، ولكنى لم أتمكن من النوم ، وذهبت إلى الجامعة بعد أرق استمر أكثر من ثمان وأربعين ساعة .

وقابلت زميلى الطبيب الأمريكى .. ونظر إلى ، وأحسست من نظراته أننى فى حالة سيئة للغاية ، ولا أدرى لماذا شكوت له ؟ .. ثم لا أدرى لماذا مددت له ذراعى ليعطينى أول حقنة من هذا العقار اللعين .. ربما ضحكت كثيرا بعد أن أخذت هذا العقار اللعين ، ربما بكيت ، ربما رأيت أطرافى تتراقص أمامى .. ربما .. وربما .. ولكن فى النهاية أعترف أننى أدمنت هذا السائل اللعين ..

فى لحظة وعى التقيت بالطبيب ، حاولت أن أعاتبه ، فنظر إلى قائلا :

— ألم تكن تعلم أننى إسرائيلى أحمل الجنسية : الأمريكية والإسرائيلية معاً .

ونظرت إليه فى رعب .. وشعرت أننى أستحق أكثر من هذا .. فلقد أقلعت عن الصلاة ، وأقلعت عن قراءة القرآن ، وتذكرت أيام الصبا والفقر فى عمان ، عندما كنت أصلى الفجر حاضراً فى المسجد ، وأقرأ آيات من القرآن ، وأبحث عن الزجاجات الفارغة ، وأعيش فى فقر وأمل وسعادة حقيقية .

والآن .. كنت على أبواب الحصول على الدكتوراه .. أشعر بهوموم الدنيا .. وتركت المتأمر يتأمر وتنتج مؤامره .. لماذا ؟ .. لأننى تركت العلاج النفسى الحقيقى : الوقوف أمام الله .

ندمت فى وقت لا ينفع فيه الندم .

وفشلت فى الحصول على الدكتوراه .

وأدمنت هذا السائل اللعين .

وأخذت منه ما أستطيع وعدت إلى القاهرة .

وصلت مطار القاهرة . وجدت نفسى دون أن أدري أقبل تراب وطنى البديل . وارتيمت فى أحضان زوجتى ووالدها وإخوتها ، وأنا أبكى ، وددت أن أطير إلى بيتى .. ودخلت غرفة النوم ، وأخذت جرعة كبيرة فى الوريد لأعوض بها ساعات السفر . ودخلت الصالون على زوجتى وأسرتها التى كانت فى لقائى . ولا أذكر إلا أننى بعد دقائق من جلوسى معهم ابتسمت بلا سبب ، ثم ضحكت ثم قهقهت . ثم روت لى زوجتى ما حدث منى .

بعد القهوةة .. أشرت الى والدها بيدى وأنا فى غاية السعادة والمرح وقلت :
— هذا قرد الأسرة .

وطلبت منه ان يقفز على الحائط الذى يتحرك .
وطلبت من شقيق زوجتى أن يمسك رأسه الذى طار وعلق فى السقف .
قالت زوجتى عنى إننى كنت بهلوانا سخيفا يثير السخرية والشفقة . وفقدت احترامى
أمام زوجتى . واحترامى أمام أسرة زوجتى .
والكارثة أن زوجتى علمت أننى مدمن مخدرٍ ما .. لا تعرف اسمه . ولكنه نوع من أنواع
المخدرات .

اجتمع مجلس أسرة زوجتى فى لحظات وعى منى . وبناء على طلب من زوجتى لبحث
قضية إدمانى .. وعرضوا على بالحاح وقسوة اختيارين :
الأول : العلاج من الإدمان والإقلاع عنه نهائيا .
الثانى : الطلاق من زوجتى .
**وفى حالة الإختيار الثانى : سوف يبلغون الشرطة ونقابة الأطباء ، لأننى لن أكون أمينا
على المرضى على الرغم منى .**

تظاهرت بقبول الحل الأول .
وانفض المجلس على هذا القرار . على أن يبدأ تنفيذه فور العثور على مكان فى أحد
المستشفيات الخاصة النائية .
وأحسست بالفضيحة تتسرب من زملائى فى هذا المستشفى . الذى سادخله مريضا .
إلى كل أطباء مصر والعرب والعالم .
لقد ضَحَم لى هذا العقار أمر هذه الفضيحة
شعرت أن الصحف تتحدث عنى .
الإذاعة تذيع نشرات الأخبار مصحوبة بالموسيقى الجاز على إدمانى وعلاجى .
التليفزيون يقدم مسلسلا عن الطبيب الذى **أدمن** عقار الهلوسة .
صورتى على أغلفة المجلات . وباعة الصحف فى العالم العربى ينادون على شراء قصة
إدمانى .

إذن .. لماذا اختارت الحل الأول ؟ .. لماذا لم أطلب زوجتى وأسريح ؟

لا أنكر حتى هذه اللحظة أنني أحبها . وأرفض طلاقها

فما هو الحل ؟

وجاء عقار الهلوسة بالحل .

أن تدمن زوجتى مثلما أدمن .

ولكن السائل شحيح عندى . لا يكفى لى ولها . وهذا النوع غير متوافر أو موجود

بالقاهرة . وهناك أنواع أخرى .

إذن .. تدمن هيروين .

عرفت أماكن بيع الهيروين . واشتريت كمية منه . ودفعتى الشيطان أن أضع هذا

المسحوق لزوجتى فى الشاي . فى الطعام فى أنفها وهى نائمة .

كان الشيطان الكامن فى عقار الهلوسة هو الذى يدفعنى إلى ذلك . حتى إننى فكرت

أن أضع لطفلى قليلا من المسحوق فى غذائه .

وذات يوم .. قالت زوجتى إنها تشعر بالآلام فى رأسها . وفى كل مفاصلها .

فقلت لها :

— عندى الحل .

— ما هو ؟ .

قلت : مسحوق أبيض من الأسبرين « كالنشوق » سيعيد النشاط إليك .

أعطيتها جرعة من الهيروين . فأخذتها بنهم . وشمته . وشعرت براحة وكسل .

وفى اليوم التالى . جاءت نفس الأعراض فى الصباح . فاقترحت عليها إذا

المسحوق فى ماء وأخذه كحقنة فى الوريد .

— وصاحت زوجتى ..

— حولتنى إلى مدمنة يا

— وضحكت كثيرا .

— لقد نجحت خطتى .

ورويت لها كيف نجحت فى تحويلها إلى مدمنة هيروين . واقترحت عليها أن تأخذ

الهيروين معاً بعد ذلك ..

خرجت زوجتى غاضبة ..
لم أسألها سؤالاً واحداً وهى فى طريقها الى الباب وفى يديها طفلنا .
ضحكت فقط . بينما هى تنتظر إلى بقرف واحتقار .
ودخلت إلى غرفة نومى لأحقق نفسى بسائل الهلوسة ..
ثم دق جرس الباب ..
وفتحت باب الشقة . ودخل ضابط وعدة جنود . **وأمسكوا بى** . وبعثروا محتويات
الشقة . وعثروا على بقايا سائل الهلوسة . وكمية ضئيلة من بودرة الهيروين .
ووضعوا فى يديّ القيد الحديدى .. وأخذونى معهم .

علمت بعد ذلك أن أسرة زوجتى هى التى أبلغت عنى الشرطة . عندما علمت بالجريمة
التي ارتكبتها فى حق زوجتى .. فإن وكيل النائب العام قد سألنى عن الأسباب التى دفعتنى
إلى دس الهيروين لزوجتى فى السوائل والطعام . ولم أعرف ما أجيب به عليه .
بعد التحقيق . وبعد وصول تقرير المعمل الجنائى . الذى أكد أن ما عثر عليه الجنود هو
مواد مخدرة . قدمت إلى المحاكمة التى قضت بحبسى هذه المدة .

اليوم .. بعد حديث إمام مسجد السجن ..
اليوم . فقط . قررت الإقلاع عن كل المخدرات . وقررت الإقلاع عن فكرة الهروب .
وقررت أن أقضى مدة العقوبة متنقلاً بين مكتبة السجن وبين مسجد السجن .

ادعوا الله لى أن يساعدنى على الخروج من آثار جريمة الطبيب الإسرائيلى .
ادعوا الله أن يغفر لى ما قدمته وما اقترفته فى حق زوجتى وفى حق نفسى .
قولوا لزوجتى الفاضلة إننى سأبقى طول العمر مديناً لها شاعراً بالذنب .. ادعوا الله لى
فى كل صلاة أن يغفر لى .
وأخيراً ..

هذه قصة من داخل أسوار سجون القاهرة .. الرجل بطل هذه القصة يطلب من كل
الشباب العربى أن يقرأها بإمعان . وأن يقرأ ما بين سطورها حتى لا يسقط فى الكمين . وإذا
سقط فعليه أن يسرع بطلب طوق النجاة . قبل أن يغرق .. وتقذف به الأمواج إلى القبر .

[v]

فى أحد أقسام الشرطة بمدينة الإسكندرية ، التقيت بها ، كنت فى زيارة لمأمور هذا القسم منذ أكثر من ثلاث سنوات حيث شاهدتها .

هى سيدة شابة ، جميلة جمالاً خارقاً ، هادئة الطباع ، تتحدث بصوت منخفض ونبرات واثقة واضحة . مما دفع بمأمور القسم المتدين أن يخفض رأسه فى الأوراق التى أمامه حماية لعينه من جمالها :

— أفندم .

— كنت أشكو والدى .. وأطلب حماية الشرطة منه .

— لماذا ؟

— إنه يريد مالا منى لا يستحقه .

— هل هو فقير ؟

— نعم .

وبتلقائية وانفعال .. تدخلت فى الحديث ، قلت لها ثائراً :

— ما هذا الجيل الذى تنتمون إليه .. ما أسوأكم جيلاً .. أب فقير يريد مساعدة من

ابنته التى رباها ، وأنفق عليها . فتقوم بصدّه . عيب يا ابنتى .

ويكت الشابة الجميلة .

وندمت لأنى تسببت فى بكاء هذه الشابة الجميلة ، وذلك لتدخل فى قضية

لا أعرف أبعادها :

— معذرة يا ابنتى .. فصفة الأبوة هى التى دفعتنى إلى التدخل .

— لك كل الحق . ولكن صدقنى .. لقد تحملت الكثير .. وما جئت إلى هنا إلا بعد نفاد

صبرى والهيأ فواى .

وطلب المأمور للفتاة كوباً من الليمون بارداً ، وطلب منها الهدوء وأن تروى حكايتها ..
فردت عليه :

— حضرة الضابط .. حكايتى أخجل منها .

— لا تخجلى يا ابنتى .. فمجرد حديثك .. سوف يخفف من آلامك .

بدأت فاطمة وهذا اسمها ، تروى حكايتها ، وهى لا تعرف جيداً من أين تبدأ

« لقد جاء والدى إلى بيتى اليوم ، وطلب منى كالمعتاد بعض المال ، لم يكن معى ما طلب ، فتوسل إلى أن أذهب إلى جارتى وأستدين منها ، فذهبت إلى جارتى لأستدين ، ولكن لكى أهرب منه ، فانا أكره الاستدانة ، وجلست معها طويلا ، حتى سمعت باب شقتى يغلق ، فتأكدت أنه خرج ، فعدت إلى البيت ووجدت مفاجأة مذهلة : اختفاء الفيديو والتلفزيون . خرجت بحثاً عنه ، وذهبت إلى والدتى ، وحكيت لها كل ما حدث ، فاتجهت إلى الله تطلب منه أن « يقصف » عمر هذا الرجل . وجلست مع أمى انتظاراً لوصوله ، ووصل متأخراً ، سألته عن الفيديو والتلفزيون ، فانكر تماماً أنه أخذهما ، وبصق فى وجهى لأنى اتهم « والدى » بسرقة محتويات شقتى . وبكيت ألماً » .

— ربما غيره هو الذى سرق ؟

فردت الشابة على المأمور وهى تبكى :

— لا يا سيدى .. فهذه ليست المرة الأولى .. لقد سرق من بيتى كل الأدوات الكهربائية من قبل ، وسرق مالا ، وكل هذا ليس مهماً ، ولكن ، لقد ثار ثورة عارمة ، استيقظ على أثرها الجيران ، ووصفنى بأوصاف يستحيل أن يصف أب ابنته بهذه الأوصاف ، إن أقل وصف كان « يا داعرة » !!!

« بكيت كثيراً .. بكيت على تدهور العلاقة بينى وبين والدى إلى هذه الدرجة ، إلى درجة أن أرفض أحياناً مساعدته مادياً وأنا قادرة ، إلى درجة أن يدخل إلى بيتى فيسرقنى ، إلى درجة أن يصفنى أبى الذى ريانى أمام حشد من الجيران بأننى داعرة !! » .

فسألها المأمور :

— وأين زوجك ؟

— إنه يعمل نجاراً على السفن التجارية .. وهو فى رحلة بأعالى البحار .. وسيعود بعد أسبوعين ، وأنا أقيم وحدى بعد استحالة الحياة فى بيت أبى أثناء رحلات زوجى الخارجية .

— وماذا يعمل والدك ؟

— عاطل يا سيدى .

— هل عاش عاطلاً طول حياته .

— لا يا سيدى .

— يا ابتنى .. قولى كل ما لديك ..

أنا ابنة المهندس فلان .

قلنا فى صوت واحد .

— مهندس .. وعاطل !!

— نعم .. ومهندس كبير ..

— ما هى الحكاية .. من البداية .

والدها ، كان مهندساً عبقرى ، تخرج فى كلية الهندسة وعمره عشرون عاماً فقط ، والتحق بالعمل فى إحدى شركات البناء المشهورة بالأسكندرية ، وبعد عمله بعامين فقط ، تزوج امرأة فاضلة ، أحبها ، وأحبته ، وكانت ثمرة هذا الحب طفلة جميلة ، وتوقفت الأم عن الإنجاب لسبب لا تعرفه ، ثم ذهبت إلى الأطباء واحتاروا فى أمرها ، ولكن بعد عشرة أعوام ، أنجبت ثلاثة أطفال تباعاً ، وشعرت الطفلة فاطمة بأنها ليست شقيقة هؤلاء الصغار ، ولكن هى أهم الصغيرة ، وفى نفس الوقت هى صديقة الأم .

كانت فاطمة على جانب كبير من الجمال ، والأخلاق ، فلقد علمها والدها المهندس العبقرى ، الخير والإيمان والتكافل . علمها والدها المهندس كل شىء نبيل فى الحياة ، بل وحفظت أجزاء كبيرة من القرآن الكريم ، واعتبرت أن كل آيات هذا الكتاب هى دستورها فى البيت والمدرسة ومع الأقارب والصديقات ، بل فى البيع والشراء .

وكان الوالدان سعيدين بفاطمة المؤمنة الجميلة العطوف الرقيقة الذكية الناجحة .
وكان الوالد بصفة خاصة فخوراً بإجابته هذه الصغيرة ، وكانت كلما تحسن عملاً ما ، يقول :
— لأنها تربيتى .

نعم .. علمها كل شيء نبيل فى الدنيا ، كان يجلس معها الساعات ، يبيت فيها الفضيلة والشرف ، من خلال حكاية بسيطة ، من خلال مقال يقرأه فى جريدة ، من خلال عمل فى التلفزيون . حتى إنها لا تتصور الحياة بدون خير وفضيلة وأمانة وشرف .
هكذا شبت فاطمة .

هكذا أصبحت فخراً لمن رباها .

المال فى البيت وفير والحمد لله ، لا احتياجات لافتة للنظر أو مهلكة للمال ، فدخل الوالد من عمله كبير ، احتياجات الأسرة أقل من هذا الدخل بكثير ، واستمر الحال فى الأسرة هكذا حتى بلغت فاطمة الثامنة عشرة من عمرها .

جاء الوالد من الخارج سعيداً .. منتشياً .. يضحك بلا سبب .. ولأول مرة يحتضن زوجته بطريقة مثيرة أمام أولاده الثلاثة .. حتى إن الأم قالت له ، بغضب :

— هل جننت ؟

فرد عليها قائلاً :

— بل أستهيك .

فثارت الأم ثورة عارمة على هذه البذاءة والسلوك الغريب أمام الأولاد .

تقول فاطمة لمأمور القسم :

— كانت العلاقة العاطفية بين أمى وأبى خاصة للغاية ، بل لا أتصور أن يكون بينهما علاقة زوجية ، من شدة خصوصية وسرية واحترام هذه العلاقة ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى أرى فيها هذا النوع من الابتذال ، لم أكن أعرف — أيامها — له تفسيراً ، ولكن أعرف تفسيره اليوم .

دخل الزوجان إلى غرفة نومهما .. وقال الزوج لزوجته :

— أرجوك .. لا أريد افساد هذه الليلة .. فهذه الليلة أشعر بسعادة جارفة .. وأشعر

بالرغبة الشديدة .. كما لم أشعر من قبل .

— ماذا حدث ؟

— كنت فى أحد المواقع .. وأعطانى صديقى « نشوق » جاء به من أمريكا .. وأخبرنى أن هذا « النشوق » يريح الأعصاب ..

ثم قال ضاحكاً :

— وينعش من جديد الحياة الزوجية .

ثم أضاف المهندس :

— إنه بودة ولا بودة العفريت .. لونها يميل إلى البنى .. « نشوقة » واحدة تحدث فى الجسم نشاطاً ورغبة بسرعة كالسحر .. ينسبك الإرهاق والتعب .. ليتنى جئت لك « بنشوقة » أمريكية .

كان ذلك عام ١٩٨٠ ، وهذا « النشوق » هو مسحوق الهيروين ، وكان الزوج صادقاً فى قوله ، كان يتصوره مسحوقاً بريئاً لا عيب فيه ، فهو يذكر أن جدته كانت تضع فى جيبها « علبة معدنية صغيرة » بها مسحوق ، تستنشق منه « فتعطس » وتستريح ، وكان يتصور أن هذا مثله .

فالهيريون — عام ١٩٨٠ — كان فى بداية انتشاره فى مصر والبلاد العربية ، وكان انتشاره محدوداً ، وكانت كافة أجهزة الإعلام فى غفلة تامة عنه ، فلم تشر إلى خطورته ، ربما لو كانت أشارت إلى خطورته ما كان مهندس شاب نابه تناوله على الإطلاق ، لأنه يتصور أنه مسحوق « نشوق جدته » .

فى اليوم التالى جاء الزوج ، وهو فى غاية النشوة من عمله ، بل إنه شكر صديقه المهندس الذى جاء من أمريكا ومعه هذا المسحوق ، بل إنه عرض شراء كمية تكون معه ، فلا يعقل أن « يستنشق » هذا « النشوق » يومياً بالمجان ، فاشتري منه كمية بألف جنيه .

نصحته زوجته أكثر من مرة أن يسأل عن الآثار الأخرى لهذا المسحوق ، ولكنه لم يسمع هذه النصيحة ، كان المسحوق قد تمكن منه ، فلم يعد يتمكن من تناول فنجان الشاي فى الصباح قبل أن يشم شمة هيريون ، وقال لزوجته :

— ليتنى سمعت نصيحتك .. وسألت لعل لهذا المسحوق .

— لماذا ؟

— ذاكرتى التى كانت لا تخوننى .. خانتنى !

— وماذا ؟

— وأشعر بكسل شديد .. فى كل شىء حتى العمل .

— وماذا ؟

— لا أشعر بحماس لشىء .. وانتابتنى حالة من الاكتئاب .. ولم أعد مرحاً كالسابق ..

— فأضافت الزوجة :

— ولم تعد تهتم بمظهرك .. ولا بغذائك .. بل ولا أسرتك .. ولا بغاطمة التى كنت

تحبها حباً كبيراً ..

— هذا صحيح .

— اذن توقف .

ونظر إليها متوسلاً ..

— ولكن .. كيف ؟

فقالت الزوجة ..

— هكذا .

وأخذت العلبة من أمامه .. وألقتها من النافذة ، وهنا ثارت ثورة عارمة ، حتى إنه صفع زوجته على وجهها لأول مرة فى حياته ، وخرج كالمجنون ، هابطاً سلم البيت إلى الشارع بحثاً عن علبة الهيروين ، ووقفت الزوجة وهى فى دهشة من هذا التصرف لزوجها الذى أصابه الجنون لإلقاء تلك العلبة فى الشارع .

وعاد الزوج حزيناً .. وهو يكاد يبكى على ضياع العلبة .

عرف الزوج أن هذا المسحوق « هيروين » ، وعرف سوقه الوحيد فى القاهرة ، والغريب أن هذا السوق بجوار أكبر صرح إعلامى فى الشرق الأوسط كله . بجوار مبنى تلفزيون القاهرة ، ليشتري ما يحتاجه من الهيروين . حتى انتقل الهيروين إليه فى الاسكندرية ، وأيضاً كان سوقه بجوار قصر رأس التين .

أنفق الزوج المهندس كل مدخراته خلال عام واحد فقط على الهيريين ، وساعات علاقته بأسرته ، كان – مثلاً – يصر على تناول العشاء مع الأسرة كلها ، وكان على مائدة الطعام يتحدث إلى أبنائه ، يبيت فيهم الفضيلة والشرف ، اليوم ، لا يعود إلى البيت إلا في وقت متأخر جداً ، حتى يوم الجمعة ، والذي كانت تعتبره الأسرة عيداً أسبوعياً ، حيث يصر المهندس على اعداد طعام الإفطار للأسرة ، ثم يوقظ الجميع بمداعبات أبوية غاية في الحنان والرفقة ، ثم يأخذهم في رحلة خارج الإسكندرية ، لا يتركهم إلا وقت صلاة الجمعة ، ويعود إليهم ، في حالة نشوة وسعادة وصلاح .

اليوم .. أصبح يوم الجمعة من أسوأ الأيام ، فهو يستيقظ متأخراً ، وعندما يستيقظ ، تبدأ الخلافات مع زوجته ، ويثور ..

بل .. بدأ يشك في سلوك زوجته الفاضلة .. الفاضلة أبداً .

بل .. تحول الشك إلى ألفاظ نابيه لا يقولها إلا سوقى جاهل .

لم تعد الأسرة تملك مدخرات ولا سيارة ولا تلفزيوناً ، ولا أجهزة كهربائية .. لقد باع الزوج كل هذا .. ولم يعد مرتبه كافياً للغذاء والهيريين معاً .. ثم كان يوم .. لقد جاءت للمهندس رسالة فصل من عمله ، لأنه كاد أن يتسبب في كارثة ، بالموصفات التي وضعها للمستشفى الجديد ، وأن رسوماته أدت إلى خسارة للشركة تقدر بالملايين ، ولأن الشركة تخشى على سمعتها فضلت الاكتفاء بفصله عن العمل ، دون تقديمه إلى النيابة بأكثر من تهمة أبسطها الإهمال .

لم يعد للأسرة مورد ، وهنا قررت فاطمة أن تعمل لتعول أمها وأختها ، وكان جواز سفر عملها هو إتقانها للفرنسية والإنجليزية حيث تعلمت في مدارس لغات ، وفوق كل هذا جمالها الخارق ، عملت سكرتيرة لمدير شركة كبرى وبمبلغ كبير من المال يكفى احتياجات الأسرة .

لنترك فاطمة تروى بنفسها .. يوم استلامها المرتب الكبير وعودتها سعيدة إلى البيت ..

– بابا .. لقد حصلت على مرتبى .

وطلب الوالد من ابنته مائة جنيه من مرتبها ، لقد أصابها القلق والسعادة فى نفس الوقت . القلق لأن والدها الذى كان عظيماً ، والذى كان مثالا للعطاء ، يمد يده لابنته ليأخذ منها مبلغاً من المال ، وهو الذى كان يعدها بقصر عندما تكبر ، والسعادة لأنها تتمكن الآن من رد بعض من العطاء الذى أعطاه إياها .

أخذ المهندس المائة جنيه .. وجرى إلى الخارج ، وسلمت باقى المرتب للأم التى بكّت لأن ابنتها تركت كلية الآداب وتعمل لتعول أسرة فسد عائلتها .

استمر حال الأسرة على هذا المنوال ، الفتاة الجميلة فاطمة تنفق على البيت وعلى لوالدها ، وفى نفس الوقت كانت تواجهها مشكلة فى العمل . ان المدير يراودها على شرفها ، كانت مشكلة مقلقة ، فهى لا تستطيع أن تترك عملها وإلا ضاعت الأسرة ، وخاصة أنها تشعر بأنها أم لأخوتها ، وإذا استمرت فى رفض رغبة المدير فقد تفقد وظيفتها ، وهى لا تعرف لمن تشكو ، اذا لمحت بهذا الأمر لوالدها ، فسوف تبقىها فوراً فى البيت . وروت لوالدها ما يحدث لها من المدير ..

وكانت مفاجأة مخيفة !!

لقد تلقى الوالد الخبر بدون اكتراث .

ثم كانت المفاجأة الثانية : عندما قال :

— هذا من حق المدير على سكرتيرته الحسناء .. إياك يا فاطمة أن يركب العناد رأسك وتفقدى الوظيفة التى لم يعد لنا مورد غيرها .

وتركت فاطمة والدها .. وجرت فى الشارع .. تبكى .. لقد انهيار الأمل .. لقد تحطم العملاق .. هل يمكن أن يتحول الوالد ، الذى غرس فى فاطمة الضمير والكبرياء والحفاظ على الشرف ، إلى بقايا إنسان لا يهتم حتى شرف ابنته ، ولكن المهم أن يحصل على هذا المسحوق ملعون .

أثناء ركضها فى الطريق .. لا تعرف إلى أين تذهب .. اصطدمت بشاب .. فسقطت على الأرض .. فساعدها على النهوض .

نعم .. ساعدها على النهوض .

ولا تدرى .. هل يمكن لهذا الشاب أن يساعدها على النهوض فى الحياة نفسها .

ونهضت فاطمة ..

تعرفت فاطمة على هذا الشاب ، وروت له باختصار مأساتها ، وأحست أنها سوف تنهض معه . وأسرعت فى تعميق العلاقة عندما علمت بنبل أخلاقه ، فهو سوف يوفر لها عدة أشياء .. سيحميها من المدير .. سيتركها تساعد أسرتها .. وسوف يقدم لها الحماية من أبيها .

ذات يوم .. كانت بالمنزل فى الصباح .. أحست بوعكة .. فأخذت إجازة من العمل . وسألها والدها عن سبب عدم ذهابها إلى عملها الذى أصبح هو وحده أكثر الناس حرصاً عليه .. فقالت له مداعبة :
— فصلنى المدير .

وتحول الرجل الذى كان وقوراً إلى وحش كاسر .. وأمسك بابنته :
— اذهبي إليه فوراً .. توسلى إليه .. أعطيه كل ما يريد .. من أجل أمك .. من أجل أخوتك .. من أجلى .. اذهبي يا فاطمة .
— اذهب للخطيئة ..

ما أرادت فاطمة أن تسمع إجابته ، تركت له الغرفة ، وذهبت إلى غرفة أخرى وأغلقت خلفها الباب .

ثم جلست تكتب رسالة من فتاة مجهولة إلى إحدى الصحف .. تطالب فيها بضرورة إعدام تجار المخدرات .. فهم وراء معظم الجرائم .. وخاصة الجرائم المخلة بالشرف .. خجلت أن تروى روايتها ولكنها كتبت الرسالة بحماس خاص .. ونشرت الصحيفة رسالة فاطمة . ولكنها لا تدري حتى الآن لماذا لم تستجب الحكومة لهذا النداء .

تزوجت فاطمة فى حفل كئيب ، وكأنه زواج سرى ، واستمرت فى الإنفاق على أسرتها ، وساءت حالة والدها ، ولم يعد يتعاطى الهيروين لارتفاع سعره ولكنه أصبح يتعاطى الماكستون فوراً ، وكل همه فى الحياة الآن أن يحصل على ثمن الماكستون فوراً ، وفى سبيل ذلك فإنه يحضر إلى ابنته وخاصة فى غياب زوجها ، لياخذ منها بالإكراه المال الذى يكفيه لشراء « حقنة الماكستون فوراً » ، وأنه كثيراً ما جاء ليتشاجر معها .. ويرميها بأبشع النعوت .. مما جعلها تخجل من جيرانها .. بل من زوجها .

انتهت فاطمة من سرد حكايتها ..

قلت لها :

— لماذا لا تحاولون علاجه ؟

— حاولنا أكثر من مرة .. ولكنه كان يخرج من المستشفى .. ليعود مرة أخرى .. وخاصة أنه يخرج ليبحث عن عمل ، ولكن كل الشركات ترفض توظيفه .. فإن كارثته أنه كان مشهوراً جداً فى مجال عمله .. لذلك عندما أصابه الإدمان .. أصبح أيضاً مشهوراً فى ميدان عمله بأنه المهندس الذى فصل من عمله بسبب إدمانه .. والشركات ليست حقل تجارب . فيصاب بالإحباط بعد أول زيارة لإحدى هذه الشركات ولا يعود إلى البيت .. ولكنه يتجه إلى أوكار السائل القاتل.

وأخذ المأمور منها عنوان إقامتها ، وعنوان اقامة والدها ، ووعدها بأنه سييذل جهده لحمايتها ، وانصرفت الشابة الجميلة .

بعد عدة أيام من هذا اللقاء .. اتصل بى صديقى المأمور .. وهو سعيد جداً .. قائلاً :

— هل تذكر الشابة الجميلة ؟

— نعم ..

— لقد وجدنا والدها ميتاً فى أحد أوكار الماكستون فورت .. أراح واستراح .

أسف يا سادة !..

لقد حزنت على هذا الرجل .. لا أدري لماذا ؟ .. ربما لأنه علم ابنته الجميلة القيم السامية .. غرسها فى نفسها .. أيقظ فيها الضمير .. فأصبح ضميرها متيقظاً دائماً .. حتى عندما طالبها بأن تتخلى عما علمه لها ، رفضت .. وبكت .. لأن الدرس كان من رجل نبيل مثالى .. حوله الهيروين إلى ديوث !!

سألت المأمور .. كيف مات ؟

قال : بالسكتة القلبية . لا بد أنه حصل على جرعة كبيرة أو نوع مغشوش ..

ثم أنهى حديثه ..

— إنها نهايتهم .. هذه ليست المرة الأولى التى يموت فيها مدمن — إنهم يموتون كل يوم .

يموتون كل يوم .. كيف ؟

يقول الدكتور عادل صادق أستاذ الطب النفسى : بعض المدمنين يموتون فجأة بدون سبب ظاهر ، أو بسبب التسمم الحاد بالجرعة الكبيرة ، حيث يفقد السيطرة على نفسه ، والمشكلة أن المتعاطى لا يعرف بالضبط الجرعة أو التركيز فى الكمية التى يتعاطها ، فالأمر يختلف هنا عن العقاقير التى تصنع لأغراض طبية ، حيث تعرف تركيز المادة المخدرة ، ومن ثم تحسب الجرعة حسب سن ووزن المريض ومدى احتياجه للعقار . فالمدمن بائس يستنشق أو يبتلع أو يحقن نفسه بمواد لا يعرف تركيبها الدقيق ، ولا يعرف تركيز المادة الرئيسية فيها ، وكل المواد التى تباع للناس فى أى مكان مغشوشة ، فالتاجر يريد أن يحقق أكبر ربح ، وكل الظروف مهيأة له ، لكى يغش ، فهو أولاً بلا ضمير ، بل هو أسوأ خلق الله فى الأرض ، والغش سمة أساسية فى سلوكه ، تعاملاته ، بل وعلاقاته ، ويظل يغش ويغش إلى الحد الذى بعده لا يملك أن يغش وإلا بارت تجارته ، ثم أن المشتري محتاج بشدة ، ويشترى فى الظلام بعيداً عن مواد القانون والشرطة ، وعلى استعداد أن يدفع أى ثمن ويأخذ « البضاعة » دون فحصها ، بل أنه يشتريها وهو يعلم أنها مغشوشة ، ويمكن أن يقبل وهو ذليل النفس ، والشوائب عادة هى سبب الموت المفاجئ ، وكل الشوائب لها تأثير على القلب كالأسبرين ، والسكر وكل المواد التى تخلط بالهروين ، والموت قد يحدث بسبب مضاعفات خطيرة ، تحدث للمتعاطى الغيبوبة ، وقصور الدورة الدموية عن الوصول للمخ وحدوث مضاعفات عصبية خطيرة مثل العته والشلل والتهابات المخ . وهذه المضاعفات تؤدى إلى الموت .

نسبة غير قليلة من المدمنين يموتون ، لا فرق بين هؤلاء وبين الذين ينتحرون — يضيف الدكتور عادل صادق — يموت المدمن وهو أبأس الناس وأتعسهم ، يموت وهو ينادى من أجل المساعدة ، يموت وهو عاقب بإدمانه وهلاكه هؤلاء المحيطين به ، يموت وهو يبحث عن السعادة الضائعة .. فهو إن حصل على زيفها اليوم ، فإنه يموت بسببها غداً .

نعم .. حزنت على الرجل .. وبالتأكيد حزنت عليه ابنته فاطمة الجميلة .. فلقد عاش

سنوات مفتقراً إلى السعادة التي أقامها .. وعاش وهو يرى نفسه ذليلاً أمام ابنته .. عاش وهو يرى ما كان يحلم به لن يتحقق .. أن يبني لفاطمة قصراً .. أن يكون سنداً لها وسط غابة الحياة .. أن يكون دفاعها ومسكنها وحصنها .. أن يرى الصغار وقد شبوا .. وقد كبروا .. وعملوا .. أن يرى نفسه وقد أصبح مصدر فخر لأسرته .. لا مصدر عار ..

أكيد – يا سادة – مات هذا الرجل .. كابأس ما يكون الرجال .

أكيد – يا سادة – مات هذا الرجل .. وفي كل خلية من جسده كمية من الحزن تكفي نصف العالم .

أكيد – يا سادة – أننا فقدنا مهندساً عبقرياً ، قتله الإدمان .

والغريب – يا سادة – أنه حتى الآن لا نعدم تاجر مخدرات واحداً ، بينما هو يقتل – وأمام أعيننا – عشرات من شباننا .

رحم الله المهندس الضحية .. ولعن الله النشوق الأمريكانى !!

خاتمة

لا أملك فى نهاية هذه المأسى .. إلا أن أقول .. قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم :

ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد .

« قريبا تصدر المجموعة الثانية »

توزيع
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
الرياض ٤٠٢٢٥٦٤ - جدة ٦٨٢٦١٠٥ - الدمام ٨٢٧١٨١١